أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم دراسة تداولية

بقلم الدكتورة

أسماء عبد الهادي مرزوق محمد

مدرس أصول اللغة بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثالث (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة
في القرآن الكريم دراسة تداولية

أسماء عبد الهادي مرزوق محمد

قسم أصول اللغة ـ شعبة اللغة العربية ـ كلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : AsmaaMohamed78@azhar.edu.eg

الملخص

تهتم التداولية بالنظر للغة في الموقف الاستعمالي، وتعد الأفعال الكلامية بعدا أساسيا من مكوناتها تنطلق من خلاله إلى أبواب التحليل؛ للوقوف على الدلالات التداولية والأهداف من عملية التواصل، ومعرفة العلاقات بين المتكلمين والمخاطبين، وتعد التوجيهيات (الطلبيات) أحد أصناف الأفعال الكلامية في تقسيم جون سيرل، باعتبارها أفعالا يتم من خلالها حمل المخاطب على الامتثال والاستجابة لمطالب المتكلم، وتحويلها من مجرد عبارات متلفظ بها إلى أفعال منجزة ــ بوساطة الكلام ــ مؤثرة في المتلقي وموجهة له إلى فعل عمل ما أو تركه.

ويهدف هذا البحث إلى تتبع أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم، وإبراز القوة الإنجازية لها، على النحو الذي تعرضه نظرية الأفعال الكلامية في الدرس التداولي الحديث عند كل من (أوستين) و(سيرل)، مستعينة على تحقيق ذلك بما أبدعه علماء التفسير واللغة في تحليلهم للآيات القرآنية (موضوع البحث).

الكلمات المفتاحية : التداولية، أفعال الكلام، التوجيهيات، آيات الغفلة.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٢٣٠٨

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Guiding speech acts in the verses of omission In the Noble Qur'an, a pragmatic study

Asmaa Abdel-Hadi Marzouk Mohamed
Department of Fundamentals of Language - Arabic Language Division - Islamic Girls College in Assiut - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt.
Email: AsmaaMohamed78@azhar.edu.eg

Abstract

Pragmatics is concerned with looking at language in the use situation, and verbal verbs are an essential dimension of its components through which it proceeds to the chapters of analysis; To find out the deliberative significance and the objectives of the communication process, and to know the relationships between the speakers and the addressees, the directives (requests) are one of the types of verbal verbs in John Searle's division, as actions through which the addressee is made to comply and respond to the speaker's demands, and transform them from mere uttered phrases into actions accomplished - by means of speech - affecting the recipient and directing him to do a certain action or to leave it.

This research aims to follow the directive speech acts in the verses of omission in the Noble Qur'an, and to highlight their achievement power, as presented by the theory of speech acts in the modern pragmatic lesson of both (Austin) and (Searl), using to achieve this with the creativity of interpretation scholars. And language in their analysis of Quranic verses (the subject of research) .

Keywords: deliberation, speech acts, directives, verses of omission.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، الكريم المنان، أحمده حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن التداولية مصطلح جديد يحمل مفهوما قديما كان يستخدمه القدماء في التراث العربي ضمن أنساق وسياقات بلاغية، ونحوية، وكلامية، فهي تمتلك الإمكانات التي تسهم بها في وصف اللغة العربية، ورصد خصائصها الخطابية التواصلية.

وتتكئ التداولية في دراستها للغة على خمسة محاور وهي: (أفعال الكلام، والحجاج، والإشارة، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري)، وتعد نظرية أفعال الكلام أهم نظرية في اللسانيات التداولية، حيث تهتم هذه النظرية بما يفعله المتكلمون باللغة من إنجاز وتأثير وتبليغ، وبمراعاة سياق الحال والغرض الذي يريده المتكلم من كلامه، والفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب.

والقرآن الكريم منهاج حياة يوجد فيه كل ما تستقيم به حياة الإنسان في كل زمان ومكان، وقد استخدم الله فيه عدة توجيهات سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة؛ لتقويم سلوك المتلقين، وهدايتهم إلى ما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم. وآيات الغفلة مجموعة من آيات القرآن الكريم احتوت على الكثير من هذه التوجيهات؛ للتأثير في المتلقي، وتوجيهه نحو ما ينبغي عليه فعله أو تركه. فضلا عن كونها تتميز بنسق خاص من حيث أصواتها وسياقاتها؛ لذا سوف ألتمس تعيين الأفعال الكلامية التوجيهية في تلك الآيات،

منطلقة من كتب التفسير وبخاصة تفسير ابن عاشور، وكتب اللغة، والبلاغة، والنحو، ومن ثمَّ جاءت الدراسة موسومة بـــ

(أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم دراسة تداولية)

ـ الهدف من البحث.

يهدف البحث إلى التعرف على الأفعال الكلامية التوجيهية الواردة فـــي آيات الغفلة في القرآن الكريم، والغرض الإنجازي لهذه الأفعال وكذلك الأفعال التأثيرية لها؛ للوقوف على بعض مزايا الخطاب القرآني فـــي القـــدرة علـــى التأثير في الآخرين، وهذه هي غاية التداولية.

ـ منهج البحث.

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل المواضع التي وردت فيها هذه الأفعال الكلامية.

ـ الدراسات السابقة.

قبل الدخول إلى إيراد تفصيل الخطة، لابد من الإشارة إلى الدراســـات السابقة الخاصة بأفعال الكلام في الخطاب القرآني التي لها صلة بالتداولية:

١. الأفعال الكلامية في سورة الكهف (دراسة تداولية) للطالبة: آمنـــة لعـــور، رسالة ماجستير بكليـــة الآداب واللغـــات، جامعـــة منتـــوري، الجزائـــر، ٢٠١٠/٢٠١١م.

٢. أفعال الكلام في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا (دراسة تداوليـــة). إعداد: حليمة بو الريش، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغـــات، جامعـــة الحاج لخضر ــ باتنة، الجزائر، ٢٠١١/٢٠١٢م.

٣. أفعال الكلام في سورة مريم (دراسة تداولية). إعداد: حدادي صباح، وبوعنداس سوسن، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة ــ بجاية الجزائر، ٢٠١٦/٢٠١٧م.

٤. الأفعال الكلامية التوجيهية: مقاربة تداولية في نماذج من سورة البقرة. عيسى تومي، بحث منشور بحولية مخبر اللسانيات واللغة العربية، بكلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد (٧)، ٢٠١٧م.

٥. أفعال الكلام في القرآن الكريم (سورة آل عمران نموذجا). إعداد: بكاي بريكة، وحفاف فتيحة، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات، جامعة محمد بو ضياف ــ المسيلة، الجزائر، ٢٠١٨/٢٠١٩م.

٦. الأفعال الكلامية التوجيهية ومقاصدها في سورة الرحمن: رأفت سيد حسين عليان. بحث منشور بمجلة البحث العلمي في الآداب بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر، العدد (٢٠) المجلد (٧)، ٢٠١٩م.

٧. الأفعال الكلامية في آيات الغيب التوجيهية أنموذجا ــ دراسة دلالية: رغد أبو جاسم، وعقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني، بحث منشور بالمجلة الأكاديمية العالمية للغة العربية وآدابها، العدد (٢) المجلد (١)، ٢٠٢٠م.

٨. الأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم: دراسة تداولية: أمل عبد الفتاح أحمد محمد. بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، العدد (٣٩)، المجلد (١)، ٢٠٢١م.

ـ خطة البحث.

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: تناولت فيها ماهية الموضوع، والهدف من البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: تناولت فيه تعرف موجز للغفلة، ومفهومها في القرآن الكريم، تحت عنوان: الغَفْلَةُ (تعريفها، ومفهومها في القرآن الكريم).

المبحث الأول: الجانب النظري، وفيه تناولت تعريف التداولية، ونظرية أفعال الكلام، والتعرض لنظرية أفعال الكلام عند العرب، والغرب، فجاء بعنوان (التداولية وأفعال الكلام).

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي، وفيه تناولت تحليل الأفعال الكلامية التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم، تحت عنوان: (أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم).

الخاتمة: تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وأخيرا أسأل الله ــ تعالى ــ وهو أكرم مسئول، أن يكتب لهذا العمل توفيقا من عنده، وأن أحتسب بهذا العمل من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

الباحثة

أسماء عبد الهادي مرزوق محمد

التمهيد

الغَفْلَةُ (تعريفها، ومفهومها في القرآن الكريم)

أولا: تعريف الغَفْلَة في اللغة والاصطلاح.

(أ) **الغفلة لغة:** مصدر غَفَلَ يَغْفَلُ غُفُولاً، وهي مشتقة من الجذر اللغوي (غ ف ل) الذي يرجع إلى معنى ترك الشيء سهواً أو عمداً، يقول ابن فارس:" الغين والفاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تَرك الشّيء سهواً، وربَّما كان عن عمدٍ. من ذلك: غَفَلتُ عن الشيء غَفلةً وغُفولاً، وذلك إذا تركتَه ساهياً. وأغفلْتُه، إذا تركْتَه على ذِكْرٍ منك له"(١).

وقال الجوهري:" غَفَلَ عن الشيء، يَغْفُلُ غَفْلَةً وغُفولاً، وأغْفَلَهُ عنه غيره. وأغْفَلْتُ الشيءَ، إذا تركته على ذِكرٍ منك. وتغافَلْتُ عنه وتَغَفَّلْتُهُ، إذا اهتبلتَ غَفْلَتَهُ. والأغفالُ: المَواتُ. يقال: أرضٌ غُفْلٌ: لا علمَ بها ولا أثر عمارةٍ "(٢).

(ب) الغَفْلَةُ في الاصطلاح: "سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ"(٣)، وقيل هي:" متابعة النفس على ما تشتهيه، وقيل: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة، وقيل: الغفلة عن الشيء: هي ألا يخطر ذلك بباله"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، (غ ف ل) ٣٨٦/٤.

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية: تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ــ لبنان ــ ط٤، ١٤٠٧ ه= ١٩٨٧م، (غ ف ل) ٨٤/٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم ــ دمشق ــ ط١، ١٤١٢ه، ص٦٠٩.

(٤) التعريفات: للجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان ــ ط١، ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م، ص١٦٢.

يلاحظ مما سبق أن هنـــاك علاقـــة تـــداخل بـــين المعنيـــين اللغـــوي والاصطلاحي للغفلة، فالمعاني الاصطلاحية مستقاة من المعنى اللغوي الـــذي يدل على الترك وعدم الانتباه والسهو عن الشيء المراد الانتباه له.

ثانيا: مفهوم الغفلة في القرآن الكريم.

وردت مادة (غ ف ل) بمشتقاتها في القرآن الكريم في خمس وثلاثين موضعا، في إحدى وعشرين صورة من كتاب الله ــ تعالى ــ بعدة صيغ ومشتقات منها الماضي المجرد من الضمائر، والمضارع، حيث ورد بصيغته مرة واحدة فقط؛ لأن المضارع يفيد التجديد والله لا يريد تجديد الغفلة للإنسان وإنما نهاه عنها وحذره منها، ووردت بصيغة المصدر واسم الفاعل؛ لأن ذلك يدل على استمرارية الغفلة من الكفرة ومن عصاة المسلمين، فهو حدث قائم ومستمر إلى قيام الساعة(١)، وفي هذه الآيات نجد الله ﷻ نهى عن الغفلة وحذر المؤمنين من الوقوع فيها، ومن ثمَّ "لم يأت لفظ الغفلة بصيغة الأمر التي تفيد الاستقبال مطلقا؛ لأن الله لا يحب السوء ولا يأمر به، بل ينهى عنها ويحذر منها"(٢).

وبتتبع المواضع التي ورد فيها لفظ (الغفلة) في القرآن الكريم، وجدت أنها وردت بمعاني متعددة أساسها عدم التفطن والتنبه، ويربط بينها رابط مهم هو عدم الشهود الذي يعني عدم الحضور أو العلم أو الإعلام، ومن تلك المعاني ما يلي:

١ــ الغفلة بمعنى عدم التنبه والتفطن: من ذلك الغفلة التي رغب الكفار فيها، وهي غفلة المسلمين عن السلاح والمتاع حين أداء صلاتهم، وعدم تفطن أهل المدينة لموسى عليه السلام حين دخل المدينة، وعدم تفطن القوم الذين لم ينذر

---

(١) ينظر: الغفلة في ضوء القرآن الكريم: إيمان صالح مصطفى الرياشي، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، لعام ٢٠١٤م، ص١٠، ١١.

(٢) السابق، ص١١.

آباؤهم للوحي وعالم الغيب، وغلة الظالمين الذين جاءهم أمر الله دون تفطن منهم وانتباه.

٢ــ الغفلة بمعنى عدم المشاهدة والحضور: وذلك كما في غفلة أخوة يوسف عليه السلام عن أخيهم، وغفلة قوم الرسول ﷺ عما في الكتب السابقة، وغفلة المحصنات عن عالم الفاحشة.

٣ــ الغفلة بمعنى عدم الشهود: وذلك كما في غفلة الإنسان عن وجود الله تعالى، وغفلة أكثر الناس عن الآخرة مع وجود الدلائل والآيات عن هذا العالم الغيبي، ومنها غفلة قوم فرعون عن آيات الله، فانتقم الله منهم فأغرقهم.

٤ــ الغفلة بمعنى تعطل السمع والبصر والفؤاد: فإن تعطل هذه الوسائل هو بالتالي حدوث للغفلة، من ذلك غفلة الذين ذرأهم الله لجهنم والذين شرحوا صدورهم للكفر؛ وذلك بسبب تعطل أعينهم وآذانهم وقلوبهم عن القيام بوظيفتها الأساسية وهي البصر والسمع والتفقه، مما جعل أصحابها من الغافلين.

٥ــ الغفلة بالمعنى المقابل لتمام العلم والحضور: وهذا في نفي أدنى درجات الغفلة وعدم التفطن والتنبه، وذلك في المواضع التي نفيت فيها الغفلة في حق المولى عز وجل وقد نهى تعالى نبيه ﷺ عنها، وقد جاء ذلك في أحد عشر آية[١].

ومن ثمَّ يتضح مفهوم الغفلة في القرآن الكريم بأنه: عدم العلم أو حضور الذهن بما ينبغي العلم به لأهميته.

---

(١) ينظر: الغفلة في آيات القرآن الكريم دراسة موضوعية: محمد داود بابهون تمزغين، رسالة ماجستير بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٦م، ص٩.

كما ورد لفظ (الغفلة) في سياقات متعددة تبين من خلالها كثيرا من الأمور المتعلقة بها، من حيث ذمها، والتحذير منها، ومظاهرها، والأسباب التي توقع العبد فيها، والآثار والعواقب التي تترتب على ذلك، وتصوير حال الغافلين، وبيان الطرق التي تفيد في علاج الغفلة، ونفيها عن ذات الله ــ تعالى ــ وبهذا يكون القرآن الكريم قد وفَّى هذا المصطلح حقه في جوانب عديدة منه(١).

فالغفلة من الصفات الذميمة التي ينبغي ألا يقع فيها المؤمن، وقد جاءت مقترنة بالكفر، والتكبر والجحود، والإعراض والظلم، والضلال وحب الدنيا، إلا أنها في حالة واحدة تكون من الصفات المحمودة، وفيها أثنى الله على المؤمنات العفيفات الغافلات عن الفحشاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢)، والغفلة هنا عن الفحشاء على المعنى اللغوي، أي: الترك(٣).

وقد ورد في القرآن ألفاظ تتقارب مع لفظ (الغفلة) في بعض أجزائها، من ذلك:

---

(١) ينظر: الغفلة في القرآن الكريم (أسبابها وآثارها وطرق علاجها): د/إدريس علي الطيب علي، بحث منشور بمجلة جامعة أفريقيا العالمية، العدد (١٤)، يوليو ٢٠٠٧م، ص٧٧.

(٢) النور. الآية [٢٣].

(٣) ينظر: الغفلة في القرآن الكريم. د/أمل بنت سليمان بن إبراهيم الغنيم، بحث منشور بمجلة تبيان للدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٧)، لعام ٢٠١٧م، ص١١، ١٢.

أولا: النسيان، وهو في اللغة: إغفال أو ترك، يقول ابن فارس:" النون والسين أصلان صحيحان، يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على ترك شيء"(١).

وفي الاصطلاح:" النِّسْيَانُ: ضِدُّ الذِّكْرِ، وَهُوَ السَّهْوُ الْحَادِثُ بَعْدَ حُصُولِ الْعِلْمِ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى التَّرْكِ، وَضِدُّهُ الْفِعْلُ"(٢).

قال العسكري:" الفرق بين الغفلة والنسيان، الغفلة: عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل، سواء بقيت صورتها أو معناه في الخيال، أو الذكر، أو انمحت عن أحدهما. وهي أعم من النسيان؛ لأنه عبارة عن الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته أو معناه عن الخيال، أو الذكر، بالكلية، ولذلك يحتاج الناسي إلى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا، كذا حققه بعض المتأخرين"(٣).

ثانيا: السهو، وهو في اللغة: الغفلة، قال ابن فارس:" السين والهاء والواو معظم الباب يدل على الغفلة والسكون، فالسهو الغفلة"(٤)، وقال ابن منظور:" السَّهْوُ والسَّهْوةُ: نِسْيانُ الشَّيْءِ وَالْغَفْلَةُ عَنْهُ وذَهابُ الْقَلْبِ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ"(٥).

---

(١) مقاييس اللغة (ن س ي) ٤٢١/٥.

(٢) البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ه)، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه، ٢٩٤/١.

(٣) الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، ص٢٩٦.

(٤) مقاييس اللغة (س ه و) ١٠٧/٣.

(٥) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر ــ بيروت ــ ط٣ ، ١٤١٤ه، (س ه ا) ٤٠٦/١٤.

قال العسكري:" الْفرق بَين النسْيَان والسهو: أَن النسْيَان إِنَّمَا يكون عَمَّا كَانَ والسهو يكون عَمَّا لم يكن، تَقول: نسيت مَا عَرفته، وَلَا يُقَال: سَهَوْت عَمَّا عَرفته، وإنما تَقول: سَهَوْت عَن السُّجُود فِي الصَّلَاة، فتجعل السَّهْو بَدَلا عَن السُّجُود الَّذِي لم يكن، والسهو والمسهو عَنهُ يتعاقبان، وَفرق آخر أَن الْإِنْسَان إِنَّمَا ينسى مَا كَانَ ذَاكِرًا لَهُ، والسهو يكون عَن ذكر وَعَن غير ذكر؛ لِأَنَّهُ خَفَاء الْمَعْنى بِمَا يمْتَنع بِهِ إِدْرَاكه. وَفرق آخر: وَهُوَ أَن الشَّيْء الْوَاحِد محَال أَن يسهى عَنهُ فِي وَقت وَلَا يسهى عَنهُ فِي وَقت آخر، وَإِنَّمَا يسهى فِي وَقت آخر عَن مثله، وَيجوز أَن ينسى الشَّيْء الْوَاحِد فِي وَقت وَيذكر فِي وَقت آخر"(١).

ثالثا: اللهو، وهو في اللغة: شغل عن شيء بشيء، قال ابن فارس:" اللام والهاء والحرف المعتل أصلان صحيحان: أحدهما يدل على شغل عن شيء بشيء، والآخر على نبذ شيء من اليد"(٢).

وفي الاصطلاح: عرفه الجرجاني بأنه:" الشيء الذي يلذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي"(٣).

وبعد هذه التعريفات يلاحظ أن هذه الألفاظ تتقارب مع لفظ الغفلة وتشترك جميعها في ترك الشيء سهوا من غير عمد، إلا أن الغفلة تكون عن عمد أو غير عمد، وعليه فهي أعم من النسيان والسهو واللهو.

---

(١) الفروق اللغوية، ص٩٧.
(٢) مقاييس اللغة (ل ه و) ٢١٣/٥.
(٣) التعريفات: للجرجاني، ص٢٤٨.

المبحث الأول: الجانب النظري

(التداولية وأفعال الكلام)

أولا: التداولية

١ــ تعريف التداولية في اللغة: ترجع إلى الجذر اللغوي (د و ل) وفيه يقول ابن منظور:" دَوَلَ: الدَّوْلةُ والدُّولةُ: العُقْبة فِي الْمَالِ والحَــرْب سَــواء، وَقِيلَ: الدُّولةُ، بِالضَّمِّ، فِي المال، والدَّوْلةُ، بالفتح، في الْحَرْبِ، وَقِيلَ: هُمَا سَوَاءٌ فِيهِمَا، يُضَمَّانِ وَيُفْتَحَانِ، وَقِيلَ: بِالضَّمِّ فِي الْآخِرَةِ، وَبِالْفَتْحِ فِي الدُّنْيَا، وَقِيــلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِيهِمَا، وَالْجَمْعُ دُوَلٌ ودِوَلٌ"[١].

قال الْجَوْهَرِيُّ:" الدَّوْلة، بِالْفَتْحِ، فِي الْحَرْبِ أَن تُدال إِحدى الْفِئَتَيْنِ عَلَــى الأُخرى، يُقَالُ: كَانَتْ لَنَا عَلَيْهِمُ الدَّوْلة، وَالْجَمْعُ الدُّوَلُ، والدُّولة، بِالضَّمِّ، فِــي الْمَالُ؛ يُقَالُ: صَارَ الْفَيْءُ دُولة بَيْنَهُمْ يَتَداولونه مَرَّة لِهَذَا وَمَرَّةً لِهَذَا، وَالْجَمْــعُ دُولات ودُوَلٌ. وقال أَبو عبيدة: الدُّولة، بِالضَّمِّ، اسْمٌ لِلشَّيْءِ الَّذِي يُتَــداوَل بِــهِ بِعَيْنِهِ، والدَّولة، بِالْفَتْحِ، الْفِعْلُ"[٢].

وتَداوَلْنا الأَمرَ: أَخذناه بالدُّوَل. وَقَالُوا: دَوالَيْك أَي مُداوَلَةً عَلَى الأَمر... ودَالَت الأَيامُ، أَي: دَارَتْ، وَاللَّهُ يُداوِلها بَيْنَ النَّاسِ. وتَداوَلَتْهُ الأَيدي: أَخذته هَذِهِ مرَّة وَهَذِهِ مرَّة. ودَالَ الثوبُ يَدُولُ أَي بَلِي. وَقَدْ جَعَل ودُّه يَدُول[٣].

نستخلص مما سبق أن مدار الجــذر اللغــوي (د و ل) هــو: التناقــل، والتحول من حال إلى حال ومن مكان لآخر، وهو ما يتفق مع الأصــل الأول

---

(١) لسان العرب (د و ل) ٢٥٢/١١.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هــ)، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ط٤ ، ١٤٠٧ه=١٩٨٧م، (د و ل) ١٦٩٩/٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (د و ل) ٢٥٢/١١.

الذي ذكره ابن فارس لمادة (د و ل) إذ يقول:" الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ"(١)، وفي هذا الصدد يقول خليفة بوجادي:" ومجموع هذه المعاني: التحول والتناقل، الذي يقتضي وجود أكثر من حال ينتقل بينهما الشيء، وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال لدى السامع ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم"(٢).

٢ــ تعريف التداولية في الاصطلاح:

اختلف علماء اللغة في تعريف التداولية؛ نظرا لاتساع مجالها المعرفي الذي يتشابك بالعديد من العلوم مما أدى إلى صعوبة وضع تعريف خاص بها يلم بآفاقها وانشغالاتها(٣)، ولم يقتصر الاختلاف على المفهوم فقط، بل تعداه إلى ترجمته وتسميته فهناك عدة تسميات لترجمة مصطلح (البراجماتية) منها: (التخاطبية، المقاميات، الفعليات، القصدية...ألخ)، لكن التسمية التي لاقت استحسانا عند الدارسين اللغويين العرب هي التداولية(٤)؛ لأنها الأكثر استيعابا وتغطية للمصطلح الأجنبي.

---

(١) مقاييس اللغة (د و ل) ٢/٣١٤.

(٢) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ ط١، ٢٠٠٩م، ص١٤٨.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د/محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية، د.ط، ٢٠٠٢م، ص١١.

(٤) ينظر: في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص٦٥.

والتداولية في أبسط تعاريفها:" هي العلاقات التي تشير إليها التراكيب اللغوية والعلاقات القائمة، بين اللغة والسياقات التي تستعمل فيها، والذين يصنعون السياقات هم الناطقون باللغة"(١).

وقد عرفت بأنها دراسة العوامل التي تحكم اختيارنا للغة في التفاعل الاجتماعي، وتأثيرات هذا الاختيار في الآخرين، وكيف يتوصل هؤلاء إلى الأسس العامة التي يعتمد عليها الناس في تفاهمهم(٢)، فهي تعالج كيف تتفاعل الخصائص اللغوية والعناصر النصية في تأويل الملفوظات؛ لتمكن السامعين من إزالة الفجوة بين معنى العبارة ومعنى المتحدث(٣).

وتعني التداولية بالعلاقات بين الخطابات ومنشئيها، وبين العلامات ومستعمليها، وأبرز مقولاتها المجاز، والسياق، والفعل بنوع خاص، وذلك حيث الكلام يعامل بوصفه فعلا ينجز في سياقه، سواء من جانب المتكلم أم من جانب المتلقي(٤).

وتعني أيضا باستعمال اللغة، وتدرسها بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه، وتدرس التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية واللسانية، وتصف معنى الملفوظات في سياقها(٥).

---

(١) منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص): د/ سمير شريف أستيتية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م، ص١١٣ـــ ١١٥.

(٢) ينظر: شظايا لسانية: د/ مجيد الماشطة، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٨م، ص٨٧، ٨٨.

(٣) ينظر: التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبيا: فالح حسن، مجلة الأقلام (عدد خاص عن التداولية) أيلول/ تشرين الأول، ٢٠٠٨/٥م، ص٢١.

(٤) ينظر: العالم ومأزقه ــ منطق الصدام ولغة التداول: علي حرب، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ــ لبنان ــ ط١، ٢٠٠٢م، ص١٥٣.

(٥) ينظر: التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. د/ مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت ــ لبنان ــ ط١، ٢٠٠٥م، ص٧٦.

وتدرس التداولية كيفية استعمال المتكلمين للغة بطرائق لا يمكن التنبؤ بها من خلال المعرفة اللغوية فقط... فهي ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنه علم جديد يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال والتواصل فتصبح التداولية بذلك جديرة بأن تسمى (علم الاستعمال اللغوي)[١].

يتضح مما سبق وجود علاقة تصل المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، فالتحول أو الانتقال من مكان لآخر وجد في انتقال اللغة وتداولها بين المتكلم والمتلقي، وبهذا تكون العلاقة متوائمة بين المعنيين.

(١) ينظر: شظايا لسانية، ص٨٨، والتداولية عند العلماء العرب. د/مسعود صحراوي، ص١٦.

ثانيا: نظرية أفعال الكلام.

تعد نظرية الأفعال الكلامية أهم محاور التداولية " الذي يحمل هدفا ووظفية، والهدف منها هو: إنتاج التأثير الحاصل في البيئة على المخاطب والمشارك، في حين تكمن وظيفة العمل الكلامي في المقصود، فقد يكون المقصود إقرارا من الناحية الدلالية أو استنكارا، فهي نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في الألسنة اللسانية بمعنى اللغة"(١).

وتعود نظرية الأفعال الكلامية إلى الفيلسوف (جون أوستين) الذي أرسى مبادئها، فقسم الأفعال إلى ثلاثة أقسام: فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام(٢)، وتشكل هذه الأفعال كيانا مستقلا، وتؤدى معا في الوقت ذاته، ولا يمكن فصل أحدها عن الآخر إلا من أجل الوفاء بصرامة المنهج العلمي، ويعد الفعل الإنجازي أساس هذه الأفعال؛ لارتباطه بمقاصد المتكلم(٣).

أما عن مفهومها فيقول د/ مسعود صحراوي:" بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان ج.ل أوستن، وتلميذه ج سيرل حول هذا المفهوم اللساني ــ التداولي الجديد فإن الفعل الكلامي يعني: التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمَّ فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر،

---

(١) دلالة الاقتضاء بين النحو والتداولية، ليلى جغام، بحث منشور بحوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العدد (١)، ٢٠١٣م، ص٨٩.

(٢) ينظر: نظرية أفعال الكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة/ عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨م، ص١٢٣.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د/ محمود نحلة، ص٤٣.

والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة ... فهذه كلها أفعال كلامية"[١].

ومن هذا المنطلق **فالفعل الكلامي:** هو إنجاز شيء ما يتحقق بمجرد تلفظ المتكلم به، نتيجة للتأثير على المخاطب عن طريق حمله على فعل ما أو تركه أو السؤال عن أمر ما أو تقديم وعد.

(١) التداولية عند العرب: د/ مسعود صحراوي، ص١٠.

ثالثا: نظرية أفعال الكلام عند العرب.

امتدت جذور نظرية أفعال الكلام في أعماق التراث العربي، وتطرق لها كثير من العلماء العرب والمسلمين على اختلاف مشاربهم ومناهجهم، "وتندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني، وتحديدا ضمن الظواهر المعنونة (بالخبر والإنشاء) وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب مكافأة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين"(١).

فاهتموا بهذه الظاهرة الأسلوبية اهتماما كبيرا عقدوا له فصولا وأبوابا عديدة وتعمقوا في بحث أسسها مبادئها ومعانيها وتقسيماتها المختلفة، فكانت نظرية (الخبر والإنشاء) محط أنظار الفلاسفة والمناطقة أمثال: أبو نصر الفارابي (ت٣٣٨ه)، وأبو علي ابن سينا (ت٤٢٨ه)، ونجم الدين الكاتبي القزويني (ت٦٩٣ه)، وقطب الدين الرازي (ت٧٦٦ه) وغيرهم، فقد عني هؤلاء بدراسة التراكيب الخبرية مستبعدين من مجال دراساتهم التراكيب غير الخبرية بعد أن قسموا الكلام إلى أسلوبين هما الأسلوب الخبري، والإنشائي.

كما اشتغل بالبحث في هذه الظاهرة ودراستها عدد من الفقهاء والأصوليين نحو: ابن رشد القرطبي (ت٥٩٥ه)، وفخر الدين الرازي (ت٦٠٦ه) وغيرهم، فقد اهتم هؤلاء بدراسة الأسلوبين الخبري والإنشائي معا بغرض دراسة المعاني الوظيفية للقول وتحديد المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك المعاني، "من خلال الأساليب الخبرية كالرواية والشهادة والوعد والوعيد،

---

(١) التداولية عند العرب: د/ مسعود صحراوي، ص٤٩.

وأفعال أخرى من الأساليب الإنشائية كالاستفهام والتعجب، واهتموا في دراستهم بالمقاصد والأغراض لا بالصيغ البنائية لتلك الألفاظ"[١].

ومن النحاة والبلاغيين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة الأسلوبية اهتماما كبيرا: سيبويه(ت١٨٠ه)، وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه)، وأبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦ه)، واهتم كل من النحاة والبلاغيين بدراسة الخبر والإنشاء وحاولوا التمييز بينها مع تقديم شروح وافية وكافية للظاهرتين، وهذه الوقفات تعد من أبواب نظرية الأفعال الكلامية، حيث " تطرقوا إلى كثير من الأفعال الكلامية: كأفعال التأكيد، وفعل الإغراء، وفعل التحذير، وفعل النداء، وفعل الاستغاثة والندبة"[٢].

وإلى جانب اهتمام علماء العرب القدامى بنظرية الخبر والإنشاء نجد أنهم قد راعوا في دراساتهم لمباحث هذه النظرية الجانب الاستعمالي للغة، فاهتموا بدراسة السياق والمعاني ومقاصد المتكلمين، وأحوال المخاطبين، كما راعوا مبدأ الإفادة، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو ما يؤكد على وعيهم بالجانب التداولي للغة[٣].

كما كان للباحثين العرب المعاصرين موقف من نظرية الأفعال الكلامية، تمثل في سعي عدد منهم كـ(مسعود صحراوي، ونعمان بوقرة، ومحمد حسن عبد العزيز، ومحمود نحلة) إلى محاولة تأصيل نظرية الأفعال الكلامية من

---

(١) نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي والمناهج الحديثة ــ دراسة تداولية ، رسالة ماجستير: حليمة شريف صدوق، جامعة الدكتور مولاي الطاهر ــ سعيدة ــ الجزائر، ٢٠١٨م، ص٥٧.

(٢) التداولية عند العرب: د/ مسعود صحراوي، ص٢٢٠.

(٣) ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني ــ سورة البقرة أنموذجا ــ رسالة ماجستير للباحث/ عيسى تومي، بجامعة محمد خيضر ـــ بسكرة ــ الجزائر، لعام ٢٠١٥م، ص٥٦.

خلال البحث عن جذورها في التراث اللساني العربي؛ للتوجه نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية(١)، كما كان لهم وجهة نظر في تقسيمات الأفعال الكلامية، وذلك بإضافة صنف جديد هو الاستفهامات، وإعادة النظر في تقسيم سيرل، وفي إتجاهات المطابقة والإيقاعيات(٢).

من خلال ما سبق يتبين أن علماء العرب القدامي على اختلاف مشاربهم ومناهجهم قد أدركوا جيدا ظاهرة الأفعال الكلامية، وأن كثيرا من مباحث هذه النظرية كانت موزعة في كتبهم، وهذا لا يقلل من قيمة اكتشافهم بل يدل على وعيهم وعبقرية اللغة التي نجحوا في الحفاظ عليها.

(١) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، رسالة دكتوراه للباحث/ محمد مدور، بجامعة الحاج لخضر ــ باتنة ــ الجزائر، لعام ٢٠١٤م، ص١٥.

(٢) ينظر: التداولية عند العرب: د/ مسعود صحراوي، ص٢٢٣.

رابعا: نظرية أفعال الكلام عند الغرب.

يعد أوستن مؤسس هذه النظرية، وواضع المصطلح الذي تعرف به الآن في الفلسفة وفي اللسانيات المعاصرة، وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الاثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة هارفاد سنة ١٩٥٥، ونشرت سنة ١٩٦٢ بعد موته في كتاب عنوانه: How To Do Things With Words[١].

وقد قام أوستن في المحاضرة الأخيرة (الثانية عشرة) بتقديم تصنيف للأفعال الكلامية على أساس ما أسماه (قوتها الإنجازية)، إذ اكتشف أن الفعل التأثيري قد لا يلازم جميع الأفعال، بل قد لا يكون ذا أثر على السامع، وأن الفعل اللفظي لا يتم الكلام إلا به، لذا وجه تركيزه واهتمامه على الفعل الإنجازي، فجاء تصنيفه مشتملا على خمسة أصناف هي:

١ــ **أفعال الأحكام:** وهي التي تعبر عن حكم يصدره محلَّف، أو محكَّم، أو حَكَم.

٢ــ **أفعال القرارت:** التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص، أو ضده.

٣ــ **أفعال التعهد:** وهي التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء أو إلزام نفسه به.

٤ــ **أفعال السلوك:** وهي التي تعبر عن رد فعل لسلوك الآخرين، ومواقفهم ومصائرهم.

٥ــ **أفعال الإيضاح:** وهي التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة[٢].

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د/محمود أحمد نخلة، ص٦٠.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د/محمود أحمد نخلة، ص٧٠.

ثم جاء (جون سيرل) تلميذ أوستين وعمل على تطوير النظرية، فأعاد النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية، "حيث ربط بين الأفعال الإنجازية وقوتها وبين مفهوم القصد، إذ يعده هدف العملية برمتها، وحدد مفهوم الفعل الإنجازي، وحدد مفهوم القوة الإنجازية في تأثير المتلقي بدليل القوة الإنجازية"(١)، وقام بتعديل التقسيم وجعله على أربعة أقسام هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، أبقى على القسمين الإنجازي والتأثيري، وجعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

الأول: الفعل النطقي، وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والثاني: الفعل القضوي، وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر(٢)، ثم قام بتصنيف الأفعال الكلامية بناء على ثلاثة أسس منهجية وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص، إلى خمسة أصناف هي:

١ــ **الإخباريات:** والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر فيها عن هذه القضية، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب.

٢ــ **التوجيهيات:**وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما.

---

(١) النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: محمود عكاشة، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص١٠٤.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د/ محمود أحمد نحلة، ص٧٤.

٣ــ الإلتزاميات: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل.

٤ــ التعبيريات: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص.

٥ــ الإعلانيات: وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي(١).

(١) ينظر: السابق، ص٧٨ ــ ٨٠.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي

أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم

أفعال الكلام التوجيهية (directives) هي أحد الأصناف الخمسة حسب تصنيف سيرل لأفعال الكلام، ويتمثل الغرض الإنجازي فيها في دأب المتكلم إلى توجيه المخاطب إلى فعل شيء محدد، والتأثير فيه؛ لينجز أمرا في المستقبل، ولابد أن يكون المتكلم صادق الرغبة، حاضر الإرادة؛ لتحقق شرط الإخلاص، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، والمسئول عن إحداث المطابقة هو المخاطب(١)، ويضم هذا الصنف مجموعات كبيرة من الأفعال الكلامية التي تختلف من حيث قوتها الإنجازية باختلاف السياق والمقام الذي يجري فيه الخطاب، وبحسب طبيعة العلاقة بين المتكلم والسامع، وهي تشمل جميع الصيغ الطلبية كالنداء والأمر والنهي والاستفهام والعرض والتحضيض، وقد جاءت الأفعال التوجيهية في آيات الغفلة على النحو التالي:

١- الأمر.

هو توجيه المخاطب لعمل فعل ما، يقول السكاكي (ت٦٢٦ه):" والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو: لينزل، وأنزل، ونزال، وصه على سبيل الاستعلاء، ولا شبهة بأن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن

---

(١) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، ص٣١، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص٤٩ ـــ ٥٠، وص٧٩.

هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل، وإلا لم تفيد غير الطلب"[١].

ويمثل **الأمر** في آيات الغفلة قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٢]، فقوله تعالى:﴿فَوَلِّ﴾، و﴿فَوَلُّوا﴾ فعل قول إنشائي يستمد قوته الإنجازية من صيغة الأمر، التي تمثل محاولة المتكلم لتوجيه المخاطبين، وهو هنا شخص النبي ﷺ باعتبار ما فيه من إرضاء رغبته، والأمة الإسلامية جميعها، للقيام بفعل شيء ما في المستقبل، وهو الأمر بتولية وجهه الشريف ووجوههم في الصلاة تلقاء المسجد الحرام، "فالآية الكريمة فيها أمر لكل مسلم أن يجعل الكعبة قبلة له، فيتوجه بصدره إلى ناحيتها وجهتها حال تأديته الصلاة لربه، سواء أكان المصلي بالمدينة أم بمكة أو بغيرهما"[٣]، وتتمثل قوة هذا الفعل التأثيرية في حث المتلقي على تحويل القبلة بالأمر المباشر﴿فَوَلِّ، فَوَلُّوا﴾، فالقوة الإنجازية لفعل الأمر هنا تتمثل في دفع المخاطب ليقوم بعمل ما وهو تحويل وجوههم في الصلاة نحو الكعبة.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٤]، وقوله:﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

---

(١) مفتاح العلوم: لأبي يعقوب السكاكي، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص٤٢٨.

(٢) البقرة. من الآية [١٤٤].

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د/محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ٩٩/١.

(٤) البقرة. من الآية [١٤٩].

شَطْرَهُ﴾[١]، فعل كلامي مباشر وهو الأمر بتولية وجهه الشريف نحو المسجد الحرام من حيث خرج، باستخدام فعل الأمر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾، وتولية عموم المسلمين وجوههم نحو المسجد الحرام حيثما كانوا باستخدام فعل الأمر ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾، وفي تكرير الأمر تشديد التوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه، فقد تكرر الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام ثلاث مرات.

كما يحتوي قوله: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ و﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ على فعل كلامي غير مباشر يتمثل في التحذير من التساهل في أمر القبلة، فعلى الرغم من الصيغة صيغة أمر فإن الأمر هنا غير مقصود لذاته، بل يراد منه لجانب ذلك الاهتمام بأمر تحويل القبلة والتحذير من التهاون في القيام به، " فعطف قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ على قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عَطْفَ حُكْمٍ عَلَى حُكْمٍ مِنْ جِنْسِهِ لِلْإِعْلَامِ بِأَنَّ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ لَا تَهَاوُنَ فِي الْقِيَامِ بِهِ وَلَوْ فِي حَالَةِ الْعُذْرِ كَالسَّفَرِ، فَالْمُرَادُ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ خَرَجْتَ مُسَافِرًا؛ لِأَنَّ السَّفَرَ مَظَنَّةُ الْمَشَقَّةِ فِي الِاهْتِدَاءِ لِجِهَةِ الْكَعْبَةِ فَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ مُتَوَهِّمٌ سُقُوطَ الِاسْتِقْبَالِ عَنْهُ، وَفِي مُعْظَمِ هَاتِهِ الْآيَةِ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ زِيَادَةُ اهْتِمَامٍ بِأَمْرِ الْقِبْلَةِ يُؤَكِّدُ قَوْلَهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٤٧] "[٢].

---

(١) البقرة. من الآية [١٥٠].

(٢) التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه، ٢/٤٤، ٤٥.

وبناء عليه يكون فعل الأمر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ و﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ قد تضمن بالإضافة للقوة الإنجازية المباشرة وهي الأمر بتولية وجوههم نحو المسجد الحرام، قوة إنجازية غير مباشرة يقتضيها السياق وهي التحذير من التهاون في أمر القبلة؛ إذ أمر الله تعالى بتحويل القبلة من باب الإلزام لا من باب التخيير.

ــ وردت صيغة الأمر بطريقة صريحة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾[(١)]، المتمثل في فعل الأمر (قل)، وفيه أمر الله ــ تعالى ــ رسوله ــ ﷺ ــ أن يقول لكفرة أهل الكتاب من" اليهود والنصارى: لِمَ تمنعون من الإسلام من يريد الدخول فيه تطلبون له زيغًا وميلا عن القصد والاستقامة، وأنتم تعلمون أن ما جئتُ به هو الحق؟ "[(٢)]، وهذا الأمر هو طلب حقيقي؛ لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى على وجه الإلزام.

ــ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[(٣)].

---

(١) آل عمران. من الآية [٩٩].

(٢) التفسير الميسر، إعداد/ نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٦، ١٤٤٠هـ=٢٠١٩م، ص٦٢.

(٣) النساء. الآية [١٠٢].

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ شَرَعَتْ صَلَاةَ الْخَوْفِ[١]، وفيها يبين المولى ﷻ كيفيتها من خلال خطابه للنبي ﷺ، وتتجلى صيغة الأمر فيها في كل من أفعال الأمر المباشرة: (فَلْتَقُمْ، وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ، فَلْيَكُونُوا، وَلْتَأْتِ، فَلْيُصَلُّوا، وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ، وَخُذُوا حِذْرَكُمْ)، والأمر في هذه الأفعال للوجوب، أي: يجب أن يكونوا دائما متيقظين لمخادعات العدو، وليأخذوا أسلحتهم معهم ليتقوه بها عند المفاجأة؛ لأن الأعداء يتمنون أن ينالوا منهم غِرَّة في صلاتهم؛ ولقوله ــ تعالى ــ بعد هذه الأوامر: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[٢]، وجاءت هذه الأفعال بِصِيغَةِ الْأَمْرِ دُونَ أَنْ يَقُولَ: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا أَسْلِحَتَكُمْ؛ لِأَنَّ أَخْذَ السِّلَاحِ فِيهِ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ[٣].

وقد تضمنت هذه الأفعال الأمرية غرض إنجازي غير مباشر يتمثل في النصح والإرشاد للمسلمين، فالله ــ تعالى ــ ينصح المسلمين بالامتثال لتلك الأوامر، ويرشدهم إلى طريق النصر حتى يتحقق لهم النصر عليهم بأيديهم، وهذا النصر لم يتحقق إلا إذا اتبعوا تلك النصائح، ونهضوا بتلك التكاليف.

ودرجة القوة الإنجازية في الوجوب أقوى من النصح والإرشاد؛ لأن قصد المولى ﷻ هو الامتثال للأمر وإنجاز العمل، كما أن تلك الأفعال جاءت معللة لجعلها ذات قوة إنجازية أكبر ليمتثل لها المتلقي عن قناعة وثبات.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٨٥/٥.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف/ لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشريف، ط٣، ١٤١٣ه=١٩٩٢م، ٨٩٦/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٨٧/٥.

ــ وقوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١). يظهر الأمر (واذكر) في هذه الآية بصيغته الصريحة المباشرة، وهي أمر الله ــ تعالى ــ نبيه ﷺ وجميع المكلفين بذكره رغبة ورهبة بالقول لا جهرًا، في وقتي أول النهار وآخره، والأمر فيه للوجوب، كما يؤدي فعل الأمر (واذكر) غرضا إنجازيا غير مباشر يتمثل في النصح والإرشاد، فالله ــ تعالى ــ ينصح نبيه ﷺ بعبادته، وذلك بالمداومة على ذكره في السر والعلن بالغداة والعشي رغبة في ثوابه وخوفا من عقابه وبطشه، حتى لا يكون من الغافلين، فيفوز برضا ربه.

ــ وقوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢). تضمنت هذه الآية الكريمة فعلي أمر هما: قوله:(فَاعْبُدْهُ) وقوله:(وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) وهما فعلان كلاميان إنجازيان يحملان قوة إنجازية حرفية وهي الأمر بعبادة الله والتوكل عليه، كما يتضمنان قوة إنجازية مستلزمة تتمثل في وجوب إخلاص العبادة لله ــ تعالى ــ وجعل التوكل عليه وحده دون غيره، ففيها "يأمر الله ــ تعالى ــ النبي ﷺ والناس جميعا بعبادته والتوكل عليه، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه"(٣). وتفريع أمر النبي ﷺ بعبادة الله والتوكّل عليه على رجوع الأمر كله إليه ظاهر؛ لأنّ الله هو الحقيق بأن يعبد وأن يتوكّل عليه في كلّ مهم. وهو تعريض بالتخطئة للذين عبدوا

(١) الأعراف. الآية [٢٠٥].
(٢) هود. الآية [١٢٣].
(٣) تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤ه)، تحقيق/ سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ه=١٩٩٩م، ٣٦٤/٤.

غيره وتوكّلوا على شفاعة الآلهة ونفعها، ويتضمّن أمر النبي ﷺ بالدّوام على العبادة والتوكّل(١).

ــ كما ورد الأمر في قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٢)،"أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء. يقال: إنها نزلت في أشراف قريش، حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حده. فنهاه الله عن ذلك، فقال:﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(٣)، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء"(٤).

فقوله:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ تضمن قوتين انجازيتين، الأولى: صريحة ومباشرة تتمثل في أمر النبي ﷺ بمجالسة الفقراء من المؤمنين الذين يبتغون رضى ربهم عليهم، والثانية: ضمنية غير مباشرة تتضمن معنى النصح والإرشاد، وذلك بنصح النبيﷺ وإرشاده إلى ملازمة أصحابه الذين يذكرون ربهم صباحا ومساء ولا يريدون بذلك إلا رضاه عنهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٩٦/١٣.

(٢) الكهف. الآية [٢٨].

(٣) الأنعام. من الآية [٥٢].

(٤) تفسير ابن كثير ١٥٢/٥.

ــ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١]، تضمن فعل الأمر (وَأَنذِرْهُمْ) بالإضافة للقوة الإنجازية المباشرة، وهي أمر النبي ﷺ بإنذار الكافرين، قوة إنجازية غير مباشرة يقتضيها السياق وهي: التهديد والتحذير،" إذ أمر الله ــ تعالى ــ نبيه محمد ﷺ بأن يخوف المشركين من أهوال يوم القيامة، يوم يتحسر الظالمون على تفريطهم في طاعة الله، ولكن هذا التحسر لن ينفعهم؛ لأن حكم الله قد نفذ فيهم وقضى الأمر بنجاة المؤمنين، وبعذاب الفاسقين، وذهب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار "[٢].

ــ وجاء الأمر للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٣]، حيث أمر الله ــ تعالى ــ النبي (ﷺ) أن يحمده على نعمائه في قوله: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) والأمر هنا حقيقي؛ لأنه صادر من الخالق إلى المخلوق على وجه الإلزام، كما تضمن هذا الأمر معنى المدح والثناء الجميل لله ــ تعالى ــ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وعليه فالقوة الإنجازية الحرفية لقوله:(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) هي الأمر بحمد الله ﷻ، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي مدح الله ــ تعالى ــ والثناء عليه.

ــ وفي قوله تعالى:﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[٤]، تم الأمر باللام، وهي التي تسمى بلام الأمر، وذلك في صيغة (ليفعل)، وتدخل اللام للمأمور

---

(١) مريم. الآية [٣٩].
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي ٢٧٨١/١.
(٣) النمل. الآية [٩٣].
(٤) يس. الآية [٦].

الغائب (ليفعل، أو ليفعلوا) ولكل من كان غير مخاطب، وتدل على طلب الفعل على سبيل الاستعلاء، وقد يخرج الأمر بلام الأمر إلى دلالات أخرى تفهم من خلال السياق كالدعاء، والالتماس، والندب، والإباحة، والتهديد ولهذا سماها ابن هشام (لام الطلب)، يقول:" وأما اللام العاملة للجزم فهي اللام الموضوعة للطلب نحو: فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي"(١).

وعليه فالأمر في الآية هنا هو لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع في قوله: (لِتُنْذِرَ) وهو يعبر عن فعل كلامي مباشر وهو الأمر بالإنذار، ويندرج تحته معنى ضمنيا يتمثل في التهديد والوعيد، وذلك بإخبار كفار مكة وتحذيرهم من سوء عاقبة الإشراك بالله ــ تعالى ــ فهم لذلك غافلون عما يجب عليهم نحو خالقهم من إخلاص العبادة له، وطاعته في السر والعلن. " واقتصر على الإنذار؛ لأن أول ما ابتدئ به القوم من التبليغ إنذارهم جميعا بما تضمنته أول سورة نزلت من قوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾، وما تضمنته سورة المدثر؛ لأن القوم جميعا كانوا على حالة لا ترضي الله ــ تعالى ــ فكان حالهم يقتضي الإنذار ليسرعوا إلى الإقلاع عما هم فيه مرتكبون"(٢).

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥، ٢٤٩/١.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٢٦.

٢ـ الاستفهام.

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة. وأدوات الاستفهام هي: الهمزة، وهل ومن وما ومتى وأيان وكيف وأين وأنى وكم وأيّ[١].

وقد يخرج الاستفهام عن هذا المعنى ــ طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ــ إلى معان أخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال[٢]، مما يعني أنه يقصد بالاستفهام في هذا الموضع ما لا يقتضي التلفظ بإجابة صريحة، وإنما يستخدمه المتكلم أو المرسل للتعبير عن قصده بطريقة غير مباشرة، وليحقق خلف هذا الاستفهام غرضا يخصه كالتقرير والإنكار والتوبيخ والتشويق، وقد ورد ضمن آيات الغفلة سبع صور من الاستفهام هي:

ــ قوله تعالى:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٣].

ورد الاستفهام في هذه الآية في حق اليهود الذين كانوا في زمان الرسول (ﷺ) في المدينة، إذ أخذ الله عليهم في التوراة ميثاقاً أن لا يقتل بعضهم بعضا، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، وإذا وقع أحدهم في

---

(١) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت١٣٩٦ه)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٠ه=٢٠٠٩م، ص٨٨، ٩٣.

(٢) ينظر: السابق، ص٩٥، ٩٦.

(٣) البقرة. من الآية [٨٥].

الأسر وجب فكاكه بكل وسيلة ولا يجوز تركه أسيراً بحال[١]، لكنهم خالفوا هذا الميثاق، " فكانت يهود بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهوديّ الآخرُ من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينه ونص كتابه، ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكّوا الأسارى من الفريق المغلوب، عملا بحكم التوراة"[٢]، "فكأن الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال، وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء"[٣]، فقال تعالى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ليس لغرض الاستفهام وإنما لتوبيخهم ولإنكار صنيعهم، "أَيْ: كَيْفَ تَعَمَّدْتُمْ مُخَالَفَةَ التَّوْرَاةِ فِي قِتَالِ إِخْوَانِكُمْ وَاتَّبَعْتُمُوهَا فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، وَسُمِّيَ الْإِتْبَاعُ وَالْإِعْرَاضُ إِيمَانًا وَكُفْرًا عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِعَارَةِ لِتَشْوِيهِ الْمُشَبَّهِ وَلِلْإِنْذَارِ بِأَنَّ تَعَمُّدَ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ قَدْ تُفْضِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ بِهِ"[٤].

وعليه فقوله تعالى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فعل قول إنجازي مباشر قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، حيث إنه مسبوق ومصدر باستفهام، لكن الاستفهام غير مراد

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق/ محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ١١٨/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٨/١.

(٣) معالم التنزيل: للبغوي ١١٨/١.

(٤) التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور ٥٩١/١.

للمتكلم ــ المولى ﷻ ــ إذ إن سياق الكلام يكشف عن فعل إنجازي غير مباشر قصده المتكلم وهي الإنكار والتوبيخ، "فوبخهم الله ــ تعالى ــ على عدم وفائهم بما التزموا به، حيث صار اليهودي يقتل اليهودي ويخرجه من داره بغياً وعدواناً عليه. وفي نفس الوقت إن أتاهم يهودي أسيراً فَدوه بالغالي والرخيص، فندد الله تعالى بصنيعهم هذا، الذي هو إهمال واجب وقيام بآخر تبعاً لأهوائهم فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ومن هنا توعدهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة"(١).

ــ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

في هذه الآية ثلاثة أفعال كلامية استفهامية وردت في حق اليهود؛ لإدعائهم يهودية ونصرانية الأنبياء السابقين وهي (أم تقولون، أأنتم أعلم أم الله، ومن أظلم) وجميعها استفهامات مجازية استخدمت في معاني الإنكار والنفي والتوبيخ والتقرير.

فالاستفهام الأول قوله تعالى:(أَمْ تَقُولُونَ) استفهام إنكاري، وفيه يقول الزمخشري: "أَمْ تَقُولُونَ: يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في: (أَتُحَاجُّونَنا) بمعنى أيّ الأمرين تأتون: ألمحاجة في حكمة اللَّه أم ادّعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معاً،

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير(وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير)، تأليف: أبي بكر جابر الجزائري، راسم للدعاية والإعلان، ط٣، ١٤١٠ه=١٩٩٠م، ٧٩/١.
(٢) البقرة. الآية [١٤٠].

وأن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون، والهمزة للإنكار أيضا، وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة"[١].

والاستفهام الثاني قوله تعالى:(أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) "فالهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، و(أعلم) أفعل تفضيل، والتفضيل على سبيل الاستهزاء، إذ المقصود أنهم لا علم عندهم، والمعنى: أن ما زعمتموه هو على خلاف ما يعلمه الله، فأنتم تقولون: أنهم على يهوديتكم أو نصرانيتكم، والله يقول:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢]، فكيف يكون على دينكم وأنتم بعده؟ والحق أنه كان حنيفا مسلما، أي على المبادئ التي أقرها الإسلام، وأهمها التوحيد، وعدم اتخاذ الولد... وأبناؤه الذين ذكرتموهم كانوا على دين أبيهم. فهل أنتم أعلم بديانتهم من الله؟"[٣].

أما الاستفهام الثالث فهو قوله تعالى:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ) للنفي، أي: ومن أظلم ممن" كتم شهادة اللَّه التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية. ويحتمل معنيين: أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم، لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها. والثاني: أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. وفيه تعريض بكتمانهم شهادة اللَّه لمحمد ــ ﷺ ــ بالنبوّة في كتبهم وسائر شهاداته"[٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١٩٧/١.

(٢) آل عمران. الآية [٦٥].

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) تفسير الزمخشري ١٩٧/١.

وللطاهر بن عاشور نظرات في المراد من الاستفهام في الصورتين الثانية والثالثة وهما (أأنتم أعلم) و(ومن أظلم) فهو يرى الاستفهام فيهما للتقرير لا للإنكار والتوبيخ(١)، "والأمر يسير، ولا يمنع المقام من إرادة التقرير إذا كان المآل من قوله تعالى:﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أن يقررهم بأن الله أعلم منهم ومن غيرهم، وإذا كان المآل من قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أن الله يقررهم أن لا ظالم أظلم ممن ارتكب هذا الكتمان فلا مانع من إرادة التقرير"(٢).

مما سبق يتضح أن الاستفهام في المواضع الثلاثة قد خرج عن القوة الإنجازية الحرفية المباشرة وهي الاستفهام إلى قوة إنجازية مستلزمة غير مباشرة يقتضيها السياق وهي الإنكار والتوبيخ إذ أفحمهم الله ــ تعالى ــ وقطع حجتهم في دعواهم أن إبراهيم والأنبياء بعده كانوا يهوداً أو نصارى، إذ قال للنبي ﷺ أن يقول لهم:(أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟)، فإن قالوا نحن أعلم، كفروا، وإن قالوا الله أعلم انقطعوا؛ لأن الله تعالى أخبر أنهم ما كانوا أبداً يهوداً ولا نصارى، ولكن كانوا مسلمين، ثم هددهم تعالى بجريمتهم الكبرى وهي كتمانهم الحق وجحودهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور ٤٧٥/٢.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: د/عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م، ١١٤/١، ١١٥.

ـ قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾(١).

" أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ أن يوبخ أهل الكتاب على الإضلال عن سبيله، فقال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ودعاهم بأهل الكتاب للمبالغة في تقبيح كفرهم؛ فإن من كان على بينة من كتاب الله: تهدي إلى الحق، يكون كفره أشد قبحا من غيره"(٢).

وقد جاء هذا التوبيخ في صورة الاستفهام، فقال تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ وهو فعل كلامي مباشر به قوة إنجازية حرفية مدركة مقاليا وهو الاستفهام وذلك باستخدام أداة الاستفهام (لِمَ) المركبة من لام الجر وما الاستفهامية، بينما يحمل هذا الاستفهام في طياته فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية مستلزمة مقاميا وهي التوبيخ والإنكار، وذلك "بتعنيف الله تعالى لكَفَرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصَدِّهم عن سبيله مَنْ أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وما بَشَّروا به ونوَّهُوا، من ذِكْر النبي ﷺ "(٣)،وفي ذلك يقول ابن عاشور:"﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخ ثان وإنكار على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم"(٤).

---

(١) آل عمران. من الآية [٩٩].
(٢) التفسير الوسيط: لجنة من العلماء ٦٢٧/١.
(٣) تفسير ابن كثير ٨٥/٢.
(٤) التحرير والتنوير ١٠٦/١٠.

مما سبق يتضح: أنه بالإضافة إلى القوة الإنجازية الحرفية المؤشر لها بأداة الاستفهام (لِمَ) أفاد التركيب الاستفهامي التوبيخ والإنكار وهما قوتان إنجازيتان مستلزمان مقاميا وسياقيا.

ــ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١).

تقص علينا هذه الآية "حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار، إن الله ــ تعالى ــ أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة"(٢).

"والكلام تمثيل حال من أحوال الغيب، من تسلط أمر التكوين الإلهي على ذوات الكائنات وأعراضها عند إرادة تكوينها، لا تبلغ النفوس إلى تصورها بالكُنْه؛ لأنها وراء المعتاد المألوف، فيراد تقريبها بهذا التمثيل، وحاصل المعنى: أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، وجعل في فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك، وتحصيل إدراكه إذا جرد نفسه من العوارض التي تدخل على فطرته فتفسدها"(٣).

وقد أدى الاستفهام في الآية (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) فعلا إنجازيا غير مباشر تتمثل قوته التأثيرية في التقرير، " إذ دخلت همزة الاستفهام فيه وهي نافية للجنس

(١) الأعراف. الآية [١٧٢].
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢/٢٦٠.
(٣) التحرير والتنوير ٩/١٦٨.

على (ليس) وهي نافية مثلها، فنفت الهمزة نفي (ليس) فعاد الكلام إثباتا"[١]، وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور:" والاستفهام في (ألست بربكم) تقريري، ومثله يقال في تقرير من يُظن به الإنكار أو يُنزل منزلة ذلك، فلذلك يقرر على النفي استدراجاً له حتى إذا كان عاقداً قلبه على النفي ظن أن المقّرر يطلبه منه، فأقدم على الجواب بالنفي، فأما إذا لم يكن عاقداً قلبه عليه فإنه يجيب بإبطال النفي، فيتحقق أنه بريء من نفي ذلك، وعليه قوله تعالى:(ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) (الأحقاف:٣٤) تنزيلاً لهم منزلة من يظنه ليس بحق؛ لأنهم كانوا ينكرونه في الدنيا"[٢].

بالإضافة إلى أنه يمكن القول: أن محتوى خطاب هذا الاستفهام جاء متضمنا تذكير من الله ــ تعالى ــ بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، والاحتجاج عليهم.

مما سبق يتضح أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام، التي تفيد صدور جواب منهم، إلى قوة إنجازية غير مباشرة يقتضيها السياق وهي التقرير، فالمقام هنا مقام ينتظم إقرار الوجود الإنساني كله بوحدانية الله والإيمان به.

ــ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[٣].

في هذه الآية "ينفي ــ تعالى ــ على علم تام أنه لا أضل من أحد يدعو من غير الله ــ تعالى ــ معبوداً لا يستجيب له في قضاء حاجة أو قضاء وطر

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام ٤٢٣/١.

(٢) التحرير والتنوير ١٦٨/٩.

(٣) الأحقاف. الآية [٥].

مهما كان صغيراً أبداً، وحقا لا أحد أضل ممن يقف أمام جماد لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق يدعوه ويسأله حاجته"[١].

وقد ورد في هذه الآية فعل كلامي مباشر تمثل في الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فـ(مَن) هنا استفهامية، وحقيقة السؤال بها طلب الإفهام، وحاشا أن يكون السائل ــ وهو الحق سبحانه وتعالى ــ طالب علم ما لا يعلمه، لذا كان الاستفهام غير مراد للمتكلم، وتكمن قوة هذا الفعل الكلامي في غرض إنجازي غير مباشر وهو الإنكار والتعجب، والمعنى:" لا أضل ممن يدعو أصناما، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجَارة صُمّ"[٢]، ويقول ابن عاشور شارحا لهذه الآية:" و(مَن) استفهامية، والاستفهام إنكار وتعجيب. والمعنى: لا أحد أشدّ ضلالاً وأعجب حالاً ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له دعاءه فهو أقصى حد من الضلالة، ووجه ذلك: أنهم ضلوا عن دلائل الوحدانية وادّعوا لله شركاء بلا دليل واختاروا الشركاء من حجارة وهي أبعد الموجودات عن قبول صفات الخلق والتكوين والتصرف ثم يدعونها في نوائبهم وهم يشاهدون أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب ثم سمعوا آيات القرآن توضح لهم الذكرى بنقائص آلهتهم، فلم يعتبروا بها وزعموا أنها سحر ظاهر فكان ضلالهم أقصى حد في الضلال"[٣].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٤٦/٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٧٥/٧.
(٣) التحرير والتنوير ٢٢٩/٢٣، ٢٣٠.

ويجوز حمل هذا الاستفهام على التقرير، أي التقرير بأن عبدة الأصنام أضل الضالين، وذلك بالنظر إلى جانب نفي الأضلية عن غير المتحدث عنهم في الآية[١].

والعامل الأكبر في توليد تلك المعاني (الإنكار والتعجب أو التقرير) يتمثل في حال المتحدث عنهم في الآية، حيث تركوا دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام، ودعوا من دونه من لا يستجيب لهم، ولا قدرة به على استجابة أحد منهم، ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة، وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء، وكانوا عليهم ضداً، فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرّة، لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة، وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم.

مما سبق يتضح أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قد خرج عن القوة الإنجازية الحرفية المباشرة وهي الاستفهام إلى قوة إنجازية مستلزمة غير مباشرة يقتضيها السياق وهي الإنكار والتعجب.

٣- النهي:

يعد النهي عنصرا من عناصر الإنشاء الطلبي، إذ هو منع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة، ففيه يوجه الخطاب إلى من هو أدنى مرتبة من المتكلم، وعرفه السيوطي بقوله:"وهو طَلَبُ الكف عن فِعْلٍ، وصِيغَتُهُ (لَا تَفْعَلْ) وهي حَقِيقَةٌ فِي التَّحْرِيمِ"[٢].

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام ٨٧/٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢٧٨/٣.

" والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب"(١)، أي أن النهي كالأمر يفترض في المتكلم أن يكون مستعليا على مخاطبه فإن تحقق شرط الاستعلاء ترتب على ذلك وجوب ترك الفعل، أما إذا أخل بهذا الشرط ينجم عن ذلك مجرد طلب الترك، وجعله سيبويه نقيضا للأمر بقوله:" لا تضرب نفي لقوله: أضرب"(٢)، مما يعني أنه نفي للأمر.

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام، وفي ذلك يقول السكاكي:" ثم إن استعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل: على الله لا تكلني على نفسي سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسا، وإن استعمل في حق المستأذن سمي إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا"(٣)، وبالنظر في آيات الغفلة في القرآن الكريم نجد النهي متمثلا في المواضع التالية:

ـ قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(٤).

---

(١) مفتاح العلوم: السكاكي (ت٦٢٦هـ)، علق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م، ص٣٢٠.

(٢) الكتاب: سيبويه، تحقيق/ عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ١٣٦/١.

(٣) مفتاح العلوم، ص٣٢٠.

(٤) الأعراف. الآية [٢٠٥].

يلاحظ على النهي الوارد في آيات الغفلة في القرآن الكريم أنه لم يرد منفصلا عن الأمر، إنما ورد متداخلا ومتضامنا معه، وذلك بسبب طبيعة العلاقة بين الأمر والنهي، وهي "طبيعة أدت إلى أن تكون صيغة الأمر مغنية عن النهي في أحيان كثيرة، فالأمر بالشيء نهي عن مقابله"(١).

وقد جاءت صيغة النهي في هذه الآية الكريمة في قوله:﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ مسبوقة بصيغة الأمر﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، وفيها يخاطب المولى ــ ﷻ ــ النبي ﷺ:" واذكر ــ أيها الرسول ــ ربك في نفسك تخشعًا وتواضعًا لله خائفًا وجل القلب منه، وادعه متوسطًا بين الجهر والمخافتة في أول النهار وآخره، ولا تكن من الذين يَغْفُلون عن ذكر الله، ويلهون عنه في سائر أوقاتهم"(٢).

وقد جاءت الصيغة اللفظية:(وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) لتكشف عن فعل كلامي مباشر وهو النهي عن الغفلة عن ذكر الله، ومن ناحية أخرى يتضمن هذا النهي إشارة ضمنية وقوة تأثيرية غير مباشرة وهي التحذير من الغفلة عن ذكر الله ــ تعالى ــ يقول ابن عاشور:" فدل قوله: (ولا تكن من الغافلين) على التحذير من الغفلة عن ذكر الله ولا حد للغفلة، فإنها تحدد بحال الرسول ﷺ وهو أعلم بنفسه، فإن له أوقاتاً يتلقى فيها الوحي وأوقات شؤون جِبِلّية كالطعام"(٣).

---

(١) تحويلات الطلب ومحددات الدلالة: مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف: حسام أحمد قاسم، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ص٨٦.

(٢) التفسير الميسر: إعداد: نخبة من العلماء، ص١٧٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٠.

وقوله:"(ولا تكن من الغافلين) أشد في الانتفاء وفي النهي من نحو: ولا تغفل؛ لأنه يفرض جماعة يحق عليهم وصف الغافلين فيحذر من أن يكون في زمرتهم وذلك أبْين للحالة المنهي عنها"(١).

والخلاصة: أن النهي في الآية الكريمة ظهر بغرض إنجازي آخر حاملا معنى التحذير؛ لأن الله حذرهم من أن يكونوا من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن السعادة والفوز، في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على الشقاوة والخيبة، في الانشغال عنه.

ـ قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٢).

نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من إتباعك إلا هؤلاء، فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا، فأنزل الله ﷻ:﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾... قال قتادة: نزلت في أصحاب الصُفَّة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم(٣).

---

(١) السابق: الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٢) الكهف. الآية [٢٨].

(٣) ينظر: معالم التنزيل: للبغوي ١٦٦/٥.

وقد اشتملت هذه الآية على الأمر بفعل الشيء والنهي عن تركه، فيقول ــ تعالى ــ لنبيه ﷺ:" واصْبِرْ يا محمد نَفْسَكَ مَعَ أصحابك الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يُرِيدُونَ بفعلهم ذلك وَجْهَهُ لا يريدون عرضا من عرض الدنيا... ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه... ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك إتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه"(١).

فجاء النهي في قوله تعالى: (وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)، و(وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا)، وقد عطف (وَلا تُطِعْ) على (وَلا تَعْدُ)؛ لأن كلا الأمرين منهي عنه، والنهي للنبي ﷺ عن الابتعاد عن الفقراء والضعفاء من المؤمنين لمجالسة الأشراف لحسن صورهم ومكانتهم الاجتماعية؛ من أجل زينة الحياة الدنيا، كما أمره بعدم طاعة أولئك المشركين فيما طلبوه منه، وهذا من باب النصح والإرشاد للنبي ﷺ.

ومن ثمَّ تضمن ملفوظ هذه الآية الكريمة على أفعالا إنجازية مباشرة وهي: الأمر (فاصبر)، والنهي (وَلا تَعْدُ)، (وَلا تُطِعْ)، والطرف المخاطب بها هو النبي ﷺ، بينما تحمل هذه الأفعال الكلامية قوة إنجازية غير مباشرة يستلزمها السياق وهي النصح والإرشاد للنبي ﷺ، فالله ــ عز وجل ــ يرشد

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م، ٥/١٨ ـــ ٨.

نبيه ﷺ إلى من يريد مجالسته، وهم الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء، يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات.

ـ قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾(١).

"في هذا السياق الكريم تقوية لرسول الله ﷺ وحمله على الصبر؛ ليواصل دعوته إلى ربه إلى أن ينصرها الله ـ تعالى ـ وتبلغ المدى المحدد لها والأيام كانت صعبة على رسول الله وأصحابه لتكالب المشركين على أذاهم، وازدياد ظلمهم لهم فقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ من قومك إنه إن لم ينزل بهم نقمته ولم يحل عذابه، إنما يريد أن يؤخرهم﴿ ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي: تنفتح فلا تغمض ولا تطرف لشدة الأهوال وصعوبة الأحوال"(٢)، "وهو وعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، وقيل: إنه تسلية للمظلوم؛ وتهديد للظالم؛ فالحق ـ تعالى ـ يمهل ولا يهمل"(٣).

"وصيغة (لا تحسبن) ظاهرها نهي عن حسبان ذلك، وهذا النهي كناية عن إثبات وتحقيق ضد المنهي عنه، في المقام الذي من شأنه أن يثير للناس

---

(١) إبراهيم. الآية [٤٢].

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: للجزائري ٦٥/٣.

(٣) البحر المديد في تفسير القران المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة د/ حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ه=١٩٩٩م، ٣٨١/١٠.

ظَنّ وقوع المنهي عنه لقوة الأسباب المثيرة لذلك، وذلك أن إمهالهم وتأخير عقوبتهم يشبه حالة الغافل عن أعمالهم، أي تحقق أن الله ليس بغافل، وهو كناية ثانية عن لازم عدم الغفلة وهو المؤاخذة، فهو كناية بمرتبتين؛ ذلك لأن النهي عن الشيء يأذن بأن المنهي عنه بحيث يتلبس به المخاطب، فنهيه عنه تحذير من التلبس به بقطع النظر عن تقدير تلبس المخاطب بذلك الحسبان، وعلى هذا الاستعمال جاءت الآية سواء جعلنا الخطاب لكل من يصح أن يخاطب فيدخل فيه النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ أم جعلناه للنبي ابتداء ويدخل فيه أمته. ونفي الغفلة عن الله ليس جارياً على صريح معناه؛ لأن ذلك لا يظنه مؤمن بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين. ومنه جاء معنى التسلية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ"[1].

وبناء عليه تكون صيغة النهي (وَلَا تَحْسَبَنَّ) قد تضمنت بالإضافة إلى القوة الإنجازية المباشرة التي تفيد النهي عن حسبان أن الله غافلا عما يعمل الظالمون، قوة إنجازية غير مباشرة يقتضيها السياق وهي التحذير من التلبس بهذا الحسبان؛ لأن ذلك لا يظنه مؤمن، فالله مطلع على أفعالهم، لا تخفى عليه خافية، غير غافل عنهم.

(١) التحرير والتنوير ١٣/٤٣٥، ٤٣٦.

٤- النداء.

يعد النداء من الأفعال الكلامية التوجيهية، فهو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء لإبلاغه أمرا يريده، وتتكون جملة النداء من أداة النداء مذكورة أو محذوفة، والمنادى وهو المخاطب، والمنادى له، أي: جواب النداء وهو المضمون المراد تبليغه للمنادي.

ويأتي النداء في الخطاب القرآني عادة مقرونا بمقاصد أخرى كالأمر والنهي والإخبار، فيعتبر مدخلا لها لتكون تلك المقاصد هي الهدف المنشود من تنبيه المنادى ودعوته للإقبال على الداعي، ومن ثمَّ "يعتبر النداء في الخطاب القرآني بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود من الخطاب مباشرة، فنجدها تشتمل على أصول التشريع، وسياسة الخلق، وقواعد الحكم، وآداب المعاملات، ونظم العبادات، والدعوة إلى توحيد الله"(١).

يقول الزركشي:" قال الزمخشري ــ رحمه الله ــ: كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى كل ذلك راجع إلى الدين الذي خُلِق الخلق لأجله وقامت السماوات والأرض به فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة"(٢).

---

(١) النداء في اللغة والقرآن: أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ص١٣٦.

(٢) البرهان في علوم القران: للزركشي (ت٧٩٤ه)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م، ٣٢٤/٢.

وجاء النداء في آيات الغفلة في القرآن الكريم متمثلا في موضع واحد في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

تعد هذه الآية الكريمة تأكيد للآية السابقة لها، وهي قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾(٢)، في "التعنيف لكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصَدِّهم عن سبيله مَنْ أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المرسلين ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ وما بَشَّروا به ونوَّهُوا، من ذِكْر النبي ﷺ الأميّ الهاشمي العربي المكّيّ، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء"(٣).

وتتمثل جملة الأفعال الكلامية الواردة في الآية من خلال: الأمر (قُلْ)، والنداء (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)، والاستفهام (لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ)، والنفي (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، فالفعل الإنجازي هنا يتكون من قوى إنجازية مركبة وهي القوة المصاحبة للأداء الفعلي للكلام، وتتمثل في: الأمر والنداء والاستفهام والنفي.

فابتدأت الآية بالأمر للنبي ﷺ (قُلْ)، ثم بالنداء (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)، وهو فعل قولي إنجازي يستمد قوته الإنجازية المباشرة من صيغة النداء التي تتمثل

(١) آل عمران. الآية [٩٩].
(٢) آل عمران. الآية [٩٨].
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٨٥.

قصديته وغايته التأثيرية في شد انتباه المخاطبين إلى الكلام اللاحق، والتهيؤ لتلقي ما بعده من توجيه، واستخدام حرف النداء (يا) هنا فيه من التأكيد والتنبيه ما يسترعي أذن المخاطبين، وذلك لسؤالهم لِمَ تمنعون من الإسلام من يريد الدخول فيه تطلبون له زيغًا وميلا عن القصد والاستقامة، وأنتم تعلمون أن ما جئتُ به هو الحق؟ وما الله بغافل عما تعملون، وسوف يجازيكم على ذلك.

فالنداء صريح صادر من الله ــ تعالى ــ إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى لسؤالهم عن صدهم للإسلام من أراد الدخول فيه بما يثيرونه من الشكوك والأوهام، وذلك في صياغة تركيبية مباشرة وملفوظ لغوي محدد.

ولأن"آلية النداء في الخطاب القرآني تحقق أغراضا مختلفة كالإغراء، والتحذير، والاختصاص، والتنبيه، والتعجب، والتحسر"[(١)]، لذا نجد أن النداء في هذه الآية قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي: لفت الانتباه إلى ما سيقال، إلى قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في: التوبيخ والتعنيف لهم على صرفهم المؤمنين عن الإسلام بأنواع الحيل والتضليل، والإنكار على مجادلتهم؛ لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم.

٥ـ النفي.

النفي " أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب"[(٢)] بإحدى وسائله المتنوع استعمالها،

---

(١) المتلقي في الخطاب القرآني: حكيمة بوفرومة (رسالة دكتوراه) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري ـــ تيزي وزو، الجزائر،٢٠١٠م، ص١٢٩، ١٣٠.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٤٦.

وهو إما صريح ظاهر، أو ضمني، ومن أدواته (ما ــ لا ــ ليس)، " ويكون النفي حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما، إلا أن أحدهما نفي، والآخر إيجاب"(١)، وهو من الأساليب والآليات اللغوية التي ترتبط بتماسك النص، وتعد الجانب التداولي الإنجازي، وذلك من خلال نفي الفعل أو نفي الخبر، وقد أخذ النفي في آيات الغفلة في القرآن الكريم أغراضا إنجازية أخرى غير النفي، منها:

ــ جاءت معظم مواضع النفي في آيات الغفلة في القرآن الكريم لنفي الغفلة عن ذات الله ــ تعالى ــ وهي:

ــ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

وصفت هذه الآية الكريمة بني إسرائيل بما هم أهله من قساوة القلب وانطماس البصيرة، وعدم التأثر بالعظات مهما كثرت، وبالبينات مهما توالت، فشبه ــ سبحانه ــ قلوبهم بالحجارة في القسوة، ثم بيَّن فضل الحجارة على قلوبهم القاسية، زيادة في إظهار قسوة قلوبهم، فقال: إن هذه الحجارة على صلابتها ويبوستها منها ما تُحدث فيه المياه خروقاً واسعة تتدفق منها الأنهار الجارية النافعة، ومنها ما تُحدث فيه المياه شقوقاً مختلفة تنجم عنها العيون النابعة، والآبار الجوفية المفيدة، ومنها ما ينقاد لأوامر الله عن طواعية

---

(١) شرح المفصل للزمخشري: تأليف: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣ه)، تحقيق د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ه = ٢٠٠١م، ٣١/٥.

(٢) البقرة. الآية [٧٤].

وامتثال، أما قلوبكم أنتم فلا يصدر عنها نفع، ولا تتأثر بالعظات والعبر، ولا تنقاد للحِكَم التي من شأنها هداية النفوس(١).

ويشير هذا التشبيه إلى فعل إنجازي غير مباشر وهو الذم والتوبيخ في مقام تبيين قبائح اليهود، ولزيادة هذا التوبيخ والتقريع لهم، أخبرهم ــ تعالى ــ أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة، ولا ساه عنها، فجاء بفعل الوعيد: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الذي جاء بصيغة نفي الغفلة عنه ــ تعالى ــ للدلالة على أن الله محصٍ لأفعالهم حافظ لها. ومجازيهم بها في الآخرة، أو معاقبهم بها في الدنيا.

مما سبق يتضح أن النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي نفي الغفلة عن ذات الله تعالى، إلى قوة إنجازية غير مباشرة يقتضيها السياق وهي التهديد والوعيد، حيث إنه ــ سبحانه ــ سيحاسبهم على أعمالهم، وسيذيقهم ما يستحقونه من عقاب جزاء جحودهم لنعمه، وعصيانهم لأمره.

ــ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي ١/١٧٤، ١٧٥.

(٢) البقرة. الآية [٨٥].

توضح هذه الآية وجها من وجوه الإنكار على اليهود؛ بسبب مخالفتهم شرع الله وأوامره، وعدم وفائهم بما التزموا به، وقيامهم بواجباتهم تبعا لأهوائهم كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ومن هنا توعدهم الله ــ تعالى ــ بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وذلك يفيد قوة إنجازية وهي الوعيد، ولتأكيد تلك القوة الإنجازية ذيل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، مستخدما أسلوب النفي، وذلك بنفي الغفلة عن ذات الله ــ تعالى ــ أي: وما الله بغافل ــ يا معشر المكذبين بآياته، والجاحدين نبوة رسوله محمد ﷺ، والمتقولين عليه الأباطيل من بني إسرائيل وأحبار اليهود ــ عما تعملون من أعمالكم الخبيثة، ولكنه عالم بها وسيحاسبكم عليها.

نخلص مما سبق إلى أن أسلوب النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي نفي الغفلة عن ذات الله تعالى، إلى قوة إنجازية غير مباشرة يقتضيها السياق وهي التهديد والوعيد، حيث إنه ــ سبحانه ــ ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها، ومخالفة شرعها، مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة، فلهذا لا يؤتمنون على ما فيها ولا على نقلها.

ــ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]. في هذه الآية ــ أيضا ــ ينكر الله ــ تعالى ــ على اليهود دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية وإما النصرانية، فقال: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يعني: بل الله أعلم... حيث كانوا

(١) البقرة. الآية [١٤٠].

يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين عند الله الإسلامُ، وإن محمدا رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهِد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك(١)، ثم هددهم ــ تعالى ــ بجريمتهم الكبرى وهي كتمانهم الحق وجحودهم في قوله تعالى:﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الذي ورد بأسلوب النفي وذلك بنفي الغفلة عن ذات الله ــ تعالى ــ أي: أن علمه محيط بعملكم، وسيجزيكم عليه.

وعليه فقد ظهر أسلوب النفي في هذه الآية الكريمة بغرض إنجازي آخر، ليحمل معنى التهديد والوعيد؛ "لأن القادر إذا لم يكن غافلاً لم يكن له مانع من العمل بمقتضى علمه"(٢).

ــ قوله تعالى:﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(٣). في هذه الآية خاطب الله ــ تعالى ــ نبيه ﷺ ووعده بأن القبلة التي سيؤمر بالتوجه إليها هي التي يحرص عليها ويرغب فيها، فقال:" كثيراً ما نرى تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء متشوقاً للوحي... فلنمكننك من استقبالها، (وَإِنَّ الذين أُوتُواْ الكتاب) من اليهود والنصارى لَيَعْلَمُونَ أَنَّه (الحق مِن رَّبّهِمْ) لا غيره؛ لعلمهم بأن محمداً ﷺ لا يأمر بالباطل إذ هو النبي المبشر به في كتبهم، وتحققهم أنه لا يتجاوز كل

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٤٥١/١.
(٢) التحرير والتنوير ٤٧٦/٢.
(٣) البقرة. الآية [١٤٤].

شريعة عن قبلتها إلى قبلة شريعة أخرى"[١]، لكنهم أنكروا استقبالكم الكعبة، وانصرافكم عن بيت المقدس، وما وقفوا من تحويل القبلة هذا الموقف إلا لعنادهم، ثم أظهر تعالى كمال علمه بما يعملون، وذلك بنفي الغفلة عن ذاته، فذيل بجملة النفي: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، أي: وما الله بغافل عن أعمالهم بل هو محيط بها وسيحاسبهم عليها يوم القيامة حساباً عسرياً، وفي ذلك فعل كلامي متضمن في القول وهو الوعيد لهؤلاء المعترضون المشككون.

"وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء[٢]، فهو وعد للمؤمنين، وقيل: على قراءة الخطاب وعد لهم، وعلى قراءة الغيبة وعيد لأهل الكتاب مطلقاً، وقيل: الضمير على القراءتين لجميع الناس فيكون وعداً ووعيداً للفريقين من المؤمنين والكافرين"[٣]، وفي ذلك عدول أسلوبي، حيث عدل عن القراءة بالغيبة إلى القراءة بالخطاب المباشر؛ ليفيد معنى الوعد للمؤمنين لا الوعيد للكافرين.

وبعد نجد أن أسلوب النفي في قوله تعالى:﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ في هذه الآية قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي نفي الغفلة عن ذات الله تعالى، ليحقق غرضا إنجازيا غير مباشر وهو الوعيد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لعنادهم وإنكارهم أمر تحويل القبلة، وذلك على قراءة الغيبة:

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠ه)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه، ٢/٤٥ ــ ٤٧.

(٢) ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها: لأبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي (ت لأبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي (ت٥٦٥ه)، تحقيق/ الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٢٨٣.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي ٢/٤٨.

(يعملون)، ويتمثل الغرض الإنجازي في الوعد للمؤمنين على قراءة الخطاب: (تعملون)؛ لأنه ــ تعالى ــ بصير بما يعمل المؤمنون، من قوة إيمانهم، وعظيم امتثالهم لشرع الله.

ــ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١]. يكرر المولى ــ ﷻ ــ الأمر بتحويل القبلة التي جعل منها الطاعنون فرصة للفتنة ومثارا للتشكيك كما في الآيات السابقة؛ ليحسم طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين أبدا إلى قبلتهم، وزيادة اهتمام بأمر القبلة، ثم انتقل السياق إلى التحذير من التساهل في أمر القبلة، وهو فعل كلامي غير مباشر دلت عليه جملة التذييل وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، التي جاءت بأسلوب النفي، فالعبارة تتضمن تحذيرا للتساهل أو المخالفة في أمر تحويل القبلة، وقيل: "تتضمن الوعد للمؤمنين ترغيبا لهم في الخير"[٢].

وبناء عليه يكون أسلوب النفي في هذه الآية قد تضمن بالإضافة إلى القوة الإنجازية المباشرة التي تفيد نفي الغفلة عن ذات الله ــ تعالى ــ قوة إنجازية غير مباشرة وهي التحذير من التساهل والمخالفة بشأن القبلة وتحويلها؛ نظرا لتكرار الأمر بتحويل القبلة، وذلك باستقبال المسجد الحرام

---

(١) البقرة. الآية [١٤٩].

(٢) (تفسير الماوردي) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٦/١، ٢٠٧.

من جميع أقطار الأرض، أو قوة إنجازية غير مباشرة وهي الوعد للمؤمنين، ترغيبا لهم في الخير؛ نظرا إلى عظيم امتثالهم لأمر الله تعالى.

ـ قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

وظف الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أسلوب النفي المتمثل في قوله تعالى:﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾،في تحقيق معنى الوعيد والتهديد لأهل الكتاب، بعد "توبيخهم والإنكار على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم"(٢)، بأنه شهيد على صَنِيعهم ذلك بالتكذيب والجحود والعناد، وأخبرهم بأنه ليس بغافل عما يعملون، أي: وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا بنون.

مما سبق يتضح أن أسلوب النفي في هذه الآية قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي نفي الغفلة عن ذات الله تعالى، ليؤدي قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في الوعيد والتهديد لأهل الكتاب؛ لمنعهم من الإسلام من يريد الدخول فيه يطلبون له زيغًا وميلا عن القصد والاستقامة، وهم يعلمون أن ما جاء به الله هو الحق، فنفى الله عن ذاته الغفلة؛ ليتناسب مع ما ذكر من الوعيد لهم جزاء أفعالهم.

ـ قوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

جاءت هذه الآية احتراسا على الآية قبلها وهي قوله:﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٣١) التي تضمنت الإشارة إلى علة

(١) آل عمران. الآية [٩٩].
(٢) التحرير والتنوير ١٠٦/١٠.
(٣) الأنعام. الآية [١٣٢].

إرسال الرسل إلى الإنس والجن؛ وهي أنه تعالى لم يكن من شأنه ولا مقتضى حكمته أنه يهلك أهل القرى بظلم منه وهو الشرك والمعاصي وأهلها غافلون لم يؤمروا ولم ينهوا، ولم يعلموا بعاقبة الظلم وما يحل بأهله من عذاب؛ للتنبيه على أنّ الصّالحين من أهل القرى الغالب على أهلها الشركُ والظّلم لا يُحرمون جزاء صلاحهم(١).

وفيها أخبر ــ تعالى ــ أن لكل عامل من خير أو شر درجات من عمله إن كان العمل صالحاً فهي درجات في الجنة، وإن كان العمل سيئاً فاسداً فهي دركات في النار(٢)، ثم عقب على ذلك بجملة النفي: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وذلك بنفي الغفلة عن ذات الله تعالى، وهو خطاب للنبي ﷺ، أي:" وكل ذلك من عملهم يا محمد، بعلم من ربك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه"(٣)، وذلك " للتسلية والتطمين لئلا يستبطئ وعد الله بالنَّصر، وهو تعريض بالوعيد للمشركين من باب: واسمعي يا جارة، وقرأه ابن عامر بتاء الخطاب (تعلمون)(٤)، فالخطاب للرّسول ﷺ ومن معه من المسلمين، فهو وعد بالجزاء على صالح أعمالهم، ترشيحاً للتّعبير بالدّرجات حسبما قدّمناه، ليكون سَلاً لهم من وعيد أهل القرى أصحاب الظّلم"(٥).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٠٧/٩، وأيسر التفاسير: للجزائري ١٢٠/٢.
(٢) أيسر التفاسير: للجزائري ١٢١/٢.
(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٢/٣.
(٤) ينظر: الكافي في القراءات السبع: لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (ت٤٧٦هـ)، تحقيق/ أحمد محمود عبد السميع الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١١٢. وجامع البيان في القراءات السبع المشهورة: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق/ محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، ص٥٠٥.
(٥) التحرير والتنوير ١٠٨/٩.

يتضح مما سبق أن أسلوب النفي في هذه الآية الكريمة قد أخذ منحى آخر؛ لينجز بذلك قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في التسلية والتطمين للنبي ﷺ؛ لئلا يستبطئ وعد الله بالنصر، وكذا الوعيد لمشركي مكة، وذلك على قراءة الجمهور (يعملون) بياء الغيبة، أما على قراءة ابن عامر (تعلمون) بتاء الخطاب فإن القوة الإنجازية غير المباشرة لأسلوب النفي تتمثل في الوعد بالجزاء للمؤمنين على صالح أعمالهم.

ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

في هذه الآية "يخبر ـ تعالى ـ أنه عالم غيب السماوات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب، وسيُوَفِّي كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر ـ تعالى ـ بعبادته والتوكل عليه؛ فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه"[٢]، ثم ذيل بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وذلك بنفي الغفلة عن ذاته، أي:" ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين"[٣]، ووراء هذا النفي فعل كلامي متضمن في القول يفيد معنى الوعد للنبي ﷺ والمؤمنين بالنصرة وعدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء، وكذلك الترغيب لهم بعبادته، وهذا المعنى الضمني ناتج عن خروج النفي عن مقتضى الظاهر، وذلك على قراءة نافع وابن عامر وحفص: (تعملون) بالتاء على الخطاب.

---

(١) هود. الآية [١٢٣].

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٣٦٤.

وقرأ الباقون: (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء المثنّاة التحتيّة على أن يعود الضمير إلى الكفّار[١]، وعليه فالمعنى الضمني لأسلوب النفي يتمثل في تسلية النبي ﷺ وتهديد المشركين؛ لأنه عالم بما يعملون، فيمهلهم ولا يهملهم، وسيجازيهم بما أساءوا، وفي ذلك عدول عن الخطاب المباشر إلى الغيبة؛ ليفيد التهديد والوعيد للكافرين.

مما سبق يتضح أن أسلوب النفي في هذه الآية قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي نفي الغفلة عن ذات الله تعالى، ليؤدي قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في الوعد للنبي ﷺ والمؤمنين بالنصرة وعدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء، وكذلك الترغيب لهم بعبادته، وذلك على قراءة (تعملون) بالتاء للمخاطب، والتسلية النبي ﷺ والتهديد والوعيد للمشركين، على قراءة (يعملون) بالياء للغيبة.

ـ قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[٢].

يدور سياق هذه الآية حول ذكر نِعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان لعله يذكر فيشكر، فقال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، أي:" سبع سماوات، سميت طرائق؛ لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض، وقيل: سميت طرائق؛ لأنها طرائق الملائكة"[٣]، ثم عقب بجملة النفي، وهي قوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، أي: ما كنا غافلين عن حاجة مخلوقاتنا، " ونفي الغفلة كناية عن العناية والملاحظة،

---

(١) ينظر: حجة القراءات: لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق/ سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨ه =١٩٩٧م، ص٣٥٣.

(٢) المؤمنون. الآية [١٧].

(٣) تفسير البغوي ٤١٣/٥.

فأفاد ذلك أن في خلق الطرائق السماوية لِمَا خلقت له لطفاً بالناس أيضاً إذ كان نظام خلقها صالحاً؛ لانتفاع الناس به في مواقيتهم وأسفارهم في البر والبحر... فصار المعنى: خلقنا فوقكم سبع طرائق لحكمة لا تعلمونها وما أهملنا في خلقها رعْيَ مصالحكم أيضاً"(١).

يتضح مما سبق أن الفعل الكلامي المباشر في هذه الآية جاء في صورة أسلوب النفي، في قوله:﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، وذلك بنفي غفلته ــ تعالى ــ عن الخلق، إلا أن وراء هذا النفي فعل كلامي متضمن في القول يفيد معنى العناية والملاحظة للخلق مما يستوجب الشكر والإقلاع عن الكفر، أي: ما كنا عنكم غافلين؛ لأنكم مخلوقاتنا فنحن نعاملكم بوصف الربوبيَّة.

ــ قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

يقول ــ تعالى ــ مخبراً رسوله الكريم وآمراً له أن يقول لهؤلاء المشركين: (الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)، أي:" لله الحمد الذي لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والإعذار إليه؛ ولهذا قال:(سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)، كما قال تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) [فصلت: ٥٣]"(٣)، وفي ذلك وعيد لهم فسوف يريهم الله آياته " في مستقبل أيامهم وقد أراهم أول آية في بدر وثاني آية في الفتح وآخر آية عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول لهم:(ذوقوا عذاب الحريق)"(٤)، واقتضى السياق بعد ذلك تعليل الموقف وتأكيده، فجاء بجملة

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٨٦/١٧، ٨٧.
(٢) النمل. الآية [٩٣].
(٣) تفسير ابن كثير ٢١٨/٦، ٢١٩.
(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: للجزائري ٦/ ٢٠٨.

التذييل:﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ التي جاءت بأسلوب النفي، وذلك بنفي الغفلة عن ذاته ــ تعالى ــ لتأكيد ما سبق، وفي التأكيد بجملة التذييل ــ جملة النفي ــ فعل كلامي متضمن في القول وهو: الوعد للمؤمنين بالجزاء على أعمالهم، كما تتضمن جملة التأكيد فعلا كلاميا آخر متضمن في القول وهو: الوعيد للمشركين، وإشعارا بالانتقام ترهيبا لهم.

يستخلص مما سبق أن الفعل الكلامي في هذه الآية: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قد خرج عن القوة الإنجازية المباشرة وهي نفي الغفلة عن ذات الله تعالى، ليؤدي قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في الوعد للنبي ﷺ والمؤمنين فهو مطلع على أعمالهم وسيجازيهم عليها، كما تتضمن معنى الوعيد للمشركين، فإنه ليس بغافل عما يعمل الناس مؤمنين وكافرين وصالحين وفاسدين وسيجزي كلاً بعمله وذلك يوم ترجعون إليه ففي الآية وعد ووعيد.

ومن مواضع النفي في آيات الغفلة في القرآن الكريم ما يلي:

ــ قوله تعالى:﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾(١).

يستخدم السياق في هذه الآية أسلوب الإخبار بمعنى النفي، "حيث قطع ــ سبحانه عذر كل من يعرض عن هذا الكتاب، فقال:﴿أَن تقولوا إِنَّمَآ أُنزِلَ الكتاب على طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾أي: أنزلنا هذا الكتاب لهدايتكم كراهة أن تقولوا يوم القيامة، أو لئلا تقولوا: لو لم ننزله، إنما أنزل الكتاب الناطق بالحجة على جماعتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود

(١) الأنعام. الآية [١٥٦]

والنصارى، وإنا كنا عن تلاوة كتابهم لغافلين لا علم لنا بشيء منها؛ لأنها ليست بلغتنا"[١]، أي: نفى على ألسنتهم علمهم ومعرفتهم بالكتب السماوية السابقة، ويتضمن هذا الخبر فعلا كلاميا غير مباشر هو قطع عذرهم وإقامة الحجة عليهم، لذا أنزل الله الكتاب على رسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمره بتلاوته وإبلاغه الناس.

ــ قوله تعالى:﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[٢].

ورد أسلوب النفي في هذه الآية في قوله: (مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ)، وفيها بيَّن ــ سبحانه ــ الحكمة من إرساله لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي: (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ)، والمراد "بالقوم الموصوفون بأنهم لم تنذر آباؤهم: إما العرب العدنانيون فإنهم مضت قرون لم يأتهم فيها نذير، ومضى آباؤهم لم يسمعوا نذيرا، وإنما يبتدأ عد آبائهم من جدهم الأعلى في عمود نسبهم الذين تميزوا به جذما وهو عدنان؛ لأنه جذم العرب المستعربة، أو أريد أهل مكة. وإنما باشر النبي ﷺ في ابتداء بعثته دعوة أهل مكة وما حولها فكانوا هم الذين أراد الله أن يتلقوا الدين وأن تتأصل منهم جامعة الإسلام ثم كانوا هم حملة الشريعة وأعوان الرسول ﷺ في تبليغ دعوته وتأييده، فانضم إليهم أهل يثرب وهم قحطانيون فكانوا أنصارا ثم تتابع إيمان قبائل العرب"[٣].

والمراد النفي عن إيقاع فعل الإنذار لهؤلاء القوم وهو سبب غفلتهم، وظاهر النفي في قوله: (مَا أُنْذِرَ) توضيح سبب غفلتهم، حيث " لم يسبق لهم أو لآبائهم أن جاءهم نذير يحذرهم من سوء عاقبة الإشراك بالله ــ تعالى ــ

---

(١) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي ٥/٢٢٤.

(٢) يس. الآية [٦].

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/١٤.

فهم لذلك غافلون عما يجب عليهم نحو خالقهم من إخلاص العبادة له، وطاعته في السر والعلن"[١]، والغفلة هنا كناية عن الإهمال والإعراض عما يحق التنبيه إليه.

(١) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي ١٢/١٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد خلص البحث عن أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم إلى عدة نتائج هي:

١. المعنى العام الذي يدور حوله الجذر (غ ف ل) يدور حول ترك الشيء سهواً أو عمداً، ولكن هذا السهو أو الترك يتحدد نوعه طبقا للسياق الذي ورد فيه اللفظ.
٢. إمكانية تطبيق أسس النظرية التداولية (أفعال الكلام) على لغة القرآن الكريم، فهو كلام الله المعجز بتلاوته في كل زمان ومكان.
٣. التداولية فكر لغوي عربي قديم، فقد كان لعلماء العربية القدامى أثرا في بحث فروع التداولية من سياق، وقصد المتكلم، وأثرهم في إبراز المعنى من خلال عبارة (لكل مقام مقال) حيث يجعلون الحذف والذكر والتقديم والتأخير والتأكيد وعدمه، معللة بأحوالها، وإن لم يصطلحوا على تسمية (تحليل تداولي) أو (دراسة تداولية).
٤. جهود العلماء العرب المعاصرين قامت على جهود علماء العربية السابقين الذين أسسوا لتلك الدراسات.
٥. تضمنت آيات الغفلة في القرآن الكريم مجموعة من الأفعال الكلامية التوجيهية غير المباشرة في أغلبها، وقد لعب عنصر السياق دورا مهما وبارزا في العملية التواصلية التبليغية في تحديد المعاني والدلالات التي احتملتها الآيات من خلال الاستدلال وربط المقام بالمقال.
٦. تنوعت الأفعال الكلامية التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم بين أفعال النداء والاستفهام والأمر والنهي والنفي؛ لارتباطها بالأحكام

والتكاليف الشرعية، وقد اختلفت هذه الأفعال من حيث درجة قوتها الإنجازية توكيدا وإثباتا ونفيا مراعاة لأحوال المخاطبين، وتحقيقا لمقاصد وغايات الخطاب القرآني في هذه الآيات.

٧. تحمل العبارة القرآنية في آيات الغفلة داخل طياتها جملة من الأساليب التخاطبية، والتي من خلالها كان التأثير على مسامع الناس، وهم الطرف الثالث في العملية التواصلية.

٨. احتلت الأفعال الكلامية للأمر المرتبة الأولى من حيث العدد، ويليها في الدرجة الثانية النفي، وذلك بنفي الغفلة عن ذات الله ــ تعالى ــ ثم الاستفهام، ثم النهي، ثم النداء.

٩. تعددت القوة الإنجازية للفعل الكلامي" الاستفهام " في آيات الغفلة حسب المقام وقصد المتكلم، فقد تمظهرت في: التقرير والإنكار والتوبيخ والتعجب.

١٠. يلاحظ التداخل بين أفعال الأمر والنهي والنداء، مما يدل على أن السياق الخطابي الإنشائي الطلبي لتلك التوجيهات لم يرد دفعة واحدة، وإنما ورد قولا إثر قول، مما يساعد المخاطب أن يتلقى الخطاب بصورة تدريجية؛ ليفهم قصد المتكلم الذي يجمع بين الامتثال للأوامر والنهي عن ضدها.

وفي الأخير أرجو أن أكون وفقت في الإحاطة بهذا الموضوع ولو بالقليل، وأعتذر عن كل تقصير في الجهد، أو خطأ في التأويل، أو نقص في التحقيق والتعمق، والله أسال أن يتجاوز عن تقصيري، ويجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به، وأسأله سبحانه أن يعيذنا من الغفلة ويجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين. إنه سميع مجيب.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د/محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية، د.ط، ٢٠٠٢م.
٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير(وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير): أبو بكر جابر الجزائري، راسم للدعاية والإعلان، ط٣، ١٤١٠ه=١٩٩٠م.
٤. البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ه)، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ه)، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه.
٥. البحر المديد في تفسير القران المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة د/ حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ه=١٩٩٩م.
٦. البرهان في علوم القران: للزركشي (ت٧٩٤ه)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م.
٧. تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ لبنان ـ ط٤، ١٤٠٧ ه= ١٩٨٧م.
٨. التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه.

٩. تحويلات الطلب ومحددات الدلالة: مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف: حسام أحمد قاسم، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
١٠. التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن ــ ط١، ٢٠١٦م.
١١. التداولية عند العرب ــ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. د/ مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان ــ ط١، ٢٠٠٥م.
١٢. التعريفات: للجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان ــ ط١ ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م.
١٣. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: د/عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٣٢ه=٢٠١١م.
١٤. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤ه)، تحقيق/ سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ه=١٩٩٩م.
١٥. التفسير الميسر، إعداد/ نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٦، ١٤٤٠ه=٢٠١٩م.
١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف/لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشريف، ط٣، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
١٨. جامع البيان في القراءات السبع المشهورة: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤ه)، تحقيق/ محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ه=٢٠٠٥م.

١٩. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م.
٢٠. حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق/ سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨ه =١٩٩٧م.
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠ه)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه.
٢٢. شرح المفصل للزمخشري: تأليف: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣ه) ، تحقيق د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ه = ٢٠٠١م.
٢٣. شظايا لسانية. د/ مجيد الماشطة، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٤. العالم ومأزقه ــ منطق الصدام ولغة التداول: علي حرب، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ــ لبنان ــ ط١، ٢٠٠٢م.
٢٥. علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت١٣٩٦ه)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٠ه=٢٠٠٩م.
٢٦. الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
٢٧. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ ط١، ٢٠٠٩م.
٢٨. في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٢٩. الكافي في القراءات السبع: أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (ت٤٧٦ه)، تحقيق/ أحمد محمود عبد السميع الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٠. الكتاب: سيبويه، تحقيق/ عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.
٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣٢. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر ــ بيروت ــ ط٣ ، ١٤١٤ه.
٣٣. معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦ه)، تحقيق/ محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ه=١٩٩٧م.
٣٤. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
٣٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام (ت٧٦١ه)، تحقيق: د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥.
٣٦. مفتاح العلوم: السكاكي (ت٦٢٦هـ)، علق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م.
٣٧. مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٣٨. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم ــ دمشق ــ ط١، ١٤١٢ه.

٣٩. منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص): د/ سمير شريف أستيتية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.
٤٠. الموضح في وجوه القراءات وعللها: أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي (ت٥٦٥هـ)، تحقيق/ عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤١. النداء في اللغة والقرآن: أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
٤٢. نظرية أفعال الكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة/ عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨م.
٤٣. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.
٤٤. النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: محمود عكاشة، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
٤٥. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الرسائل العلمية والدوريات

١. الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني ــ سورة البقرة أنموذجا ــ رسالة ماجستير للباحث/ عيسى تومي، بجامعة محمد خيضر ــ بسكرة ــ الجزائر، ٢٠١٥م.
٢. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، رسالة دكتوراه للباحث/ محمد مدور، بجامعة الحاج لخضر ــ باتنة ــ الجزائر، ٢٠١٤م.

٣. التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبيا: فالح حسن، مجلة الأقلام (عدد خاص عن التداولية) أيلول/ تشرين الأول، ٥/٢٠٠٨م.
٤. دلالة الاقتضاء بين النحو والتداولية، ليلى جغام، بحث منشور بحوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العدد (١)، ٢٠١٣م.
٥. الغفلة في آيات القرآن الكريم دراسة موضوعية: محمد داود بابهون تمزغين، رسالة ماجستير بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٦م.
٦. الغفلة في القرآن الكريم. د/أمل بنت سليمان بن إبراهيم الغنيم، بحث بمجلة تبيان للدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد(٢٧)، ٢٠١٧م.
٧. الغفلة في القرآن الكريم (أسبابها وآثارها وطرق علاجها): د/إدريس علي الطيب علي، بحث منشور بمجلة جامعة أفريقيا العالمية، العدد (١٤)، يوليو ٢٠٠٧م.
٨. الغفلة في ضوء القرآن الكريم: إيمان صالح مصطفى الرياشي، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٤م.
٩. المتلقي في الخطاب القرآني: حكيمة بوفرومة (رسالة دكتوراه) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري ــ تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٠م.
١٠. نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي والمناهج الحديثة ــ دراسة تداولية، رسالة ماجستير للباحثة/ حليمة شريف صدوق، بجامعة الدكتور مولاي الطاهر ــ سعيدة ــ الجزائر، ٢٠١٨م.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٣٠٧
٢-	Abstract	٢٣٠٨
٣-	المقدمة.	٢٣٠٩
٤-	التمهيد: (الغفلة تعريفها، ومفهومها في القرآن الكريم).	٢٣١٣
٥-	المبحث الأول: الجانب النظري (التداولية وأفعال الكلام).	٢٣٢٠
٦-	المبحث الثاني: الجانب التطبيقي (أفعال الكلام التوجيهية في آيات الغفلة في القرآن الكريم دراسة تداولية).	٢٣٣٢
٧-	الخاتمة.	٢٣٧٤
٨-	فهرس المصادر والمراجع.	٢٣٧٦
٩-	فهرس الموضوعات	٢٣٨٢